القسم الأول

مصادر التاريخ الحديث

مصادر التاريخ الحديث

يمتاز التاريخ الحديث والمعاصر بكثرة المصادر وتنوعها بصورة تدعو إلى حيرة الباحثين، فكل عام تدفع المطابع في جميع أنحاء العالم إلى القراء بالآلاف من الكتب والدوريات التي تتناول موضوعات تاريخية حديثة بمختلف اللغات، بعضها كتب للقارئ العام، والبعض الآخر كتب للمختصين في هذا الفرع من فروع التاريخ. وتتمثل هذه الحيرة في عدم استطاعة هؤلاء الباحثين متابعة هذا السيل المتدفق من الكتب والدوريات، ومع حرصهم على معرفة كل جديد، ونظراً للتطور السريع في مختلف أنواع العلوم، والمعارف، فإن هذا التطور قد شمل أيضاً العلوم الاجتماعية بشكل عام، والتاريخ بصفة خاصة، و أصبح لزاماً على الباحثين أن يتابعوا هذا التطور والتقدم ليكونوا على مستوى عصرهم الذي يعشيون فيه.

وتأتي في مقدمة المصادر التاريخية الوثائق، ثم يليها المذكرات، والمخطوطات، وكتابات شهود العيان، والمعاصرين والشعر، ثم كتابات المؤرخين المحدثين، هذا فضلاً عن العديد من الدوريات المتخصصة التي يدونها علماء متخصصون في التاريخ الحديث. ولنحاول أن نتناول تلك المصادر كلا على حده، حتى يتبين الباحث مدى أهميتها بالنسبة إليه، مع بيان مكان وجودها، وكيفية الاستفادة منها، للحصول عليها. ولنبدأ بالوثائق التاريخية.

١- الوثائق التاريخية Historical Documents

تعتبر الوثائق من الأصول التاريخية التي على درجة أولى من الأهمية

بالنسبة لأي بحث تاريخي، وهي تشمل القوانين، والقرارات، والأوامر، والعقود، والمراسلات الرسمية، سواء الداخلية أو الخارجية، ومحاضر جلسات مجالس الوزراء، و مضابط جلسات المجالس النيابية ومجالس الشورى، والمراسلات المتبادلة بين مختلف الوزارات والهيئات الرسمية وشبه الرسمية داخلياً وخارجياً، ونخص بالذكر المراسلات المتبادلة بين وزارة الخارجية وممثليها في الخارج من السفراء، والقناصل، والمستشارين، والقائمين بالأعمال، والملحقين العسكريين والثقافيين والتجاريين، وكذلك السجلات العسكرية الخاصة بالجيش أو البحرية، والمراسلات المتبادلة بين وزارة الحربية ومختلف الوحدات والقيادات والتي تتناول إعداد تلك القوات وتجهيزاتها، وأسلحتها، وعدد الوحدات، والسفن الحربية إلى غير ذلك.

وتهتم الدول الأوربية والأمريكية اهتماماً كبيراً بحفظ تلك الوثائق والعناية بها، وتبويبها، ونشرها من حين لآخر، ولكن كثيراً ما تتعرض تلك الوثائق في الدول المتخلفة للتلف والضياع، وذلك لقلة الوعي والإدراك، ويرجع السبب في ذلك لما يلي:

أولاً: الإهمال وعدم معرفة القيمة الحقيقية لتلك الوثائق التي تمثل سجلاً حافلاً لأعمال كل أمة من الأمم، والذي بدونه لن يكون لها تاريخ تعتز به.

ثانياً: سوء حفظ تلك الوثائق، وعدم اتباع الأساليب العلمية الصحيحة في ذلك، ويترتب على ذلك تلفها، وطمس معالمها، وانعدام الفائدة منها.

ثالثاً: قد تؤدي الثورات التي تقوم في بعض الدول إلى هدم دور الحكومة، وإحراقها أو العبث بمحتوياتها بما فيها الوثائق، وكذلك الحروب التي تقوم بين الدول تلحق ضرراً بالغاً بالوثائق الرسمية وغيرها.

رابعاً: تسرب تلك الوثائق إلى خارج البلاد عن طريق جماعات تخصصت في تهريب الوثائق والمخطوطات والآثار، لما تدره تلك التجارة غير المشروعة من أرباح طائلة للقائمين بها.

خامساً: تعمد التخلص من بعض الوثائق التي قد تدين عهدا من العهود أو حاكما من الحكام، ومن ثم يلجأ هؤلاء إلى إعدامها ليتخلصوا من حكم التاريخ، وحتى لا يكون تحت يد المؤرخين ما يدينهم.

وضياع الوثائق من أكبر العقبات التي تقف في طريق المؤرخ، فبدونها لا يستطيع سد الفجوات التي تعترضه أثناء الكتابة. وستبقى تلك الفجوات موجودة إلا إذا عثرنا على تلك الوثائق المفقودة، أو العثورعلى وثائق أخرى بديلة لدى دولة أخرى.

ولذا يمكننا القول بأ نه حيث لا توجد وثائق لا يوجد تاريخ.

وكما أسلفنا فقد اهتمت الدول الكبرى اهتماماً زائداً بإيجاد دور الوثائق المعدة أحسن إعداد، والمزودة بكل وسائل الاطلاع، والنسخ، والتصوير، ورتبت فيها الوثائق بحسب السنين، وحسب الموضوعات، وحسب أسماء الدول المختلفة.

ومن النظم المتبعة للاطلاع على تلك الوثائق أن الدولة لا تسمح

للباحثين بتناول تلك الوثائق بالدراسة إلا بعد مرور فترة زمنية معينة تعتبر بعدها في حكم التاريخ. أما قبل هذه الفترة فلا تسمح لأحد بالاقتراب منها أو البحث فيها. وكانت بريطانيا تحدد فترة خمسين سنة كحد أدنى تسمح بعده للباحث الاطلاع عليها. أي أن الوثيقة لا تصبح في متناول أيدي الباحثين إلا بعد مرور خمسين سنة على تاريخ تدوينها، ثم خفضت الحكومة تلك المدة فأصبحت الآن ثلاثين سنة بدلاً من خمسين.

وليس معنى هذا أن كل الوثائق التي مرت عليها ثلاثون سنة يسمح بالاطلاع عليها دون قيد أو شرط، ولكن ذلك خاضع لتقدير لجنة من المختصين في وزارة الخارجية البريطانية، بالتعاون مع بعض علماء التاريخ الحديث، تقوم بفحص جميع الوثائق التي مرت عليها المدة القانونية التي تجيز تداولها، واستبعاد أوحجب ما تراه متصلاً بسياسة الدولة الحاضرة عن أعين الباحثين، أو ما يتعارض نشره أو الاطلاع عليه مع العلاقات الطيبة التي تربط الدولة بالدول الأخرى، أو ترى اللجنة بأنه لم يعد بعد في حكم التاريخ، وقد يستمر هذا المنع من التداول فترة قد تطول أو تقصر حسبما تراه حكومة الدولة.

وفي كل عام تقوم هذه اللجنة بفرز الوثائق المزمع نشرها أو السماح بالاطلاع عليها، لتضيف سنة جديدة إلى مجموع السنوات المسموح بالاطلاع على وثائقها.

ومعنى هذا أن الباحث لا يُسمح له بالاطلاع على كل ما يريد، ولكن يسمح له فقط في الحدود التي ترسمها كل دولة، مراعاة لمصالحها وعلاقاتها مع دول العالم الأخرى، لا سيما في مجال السياسة الخارجية.

وفي الوقت نفسه تعمل هذه الدول على نشر تلك الوثائق في مجموعات ضخمةأو في كراسات حسبما تراه، حتى يستطيع الباحثون الاطلاع عليها في أي مكان من العالم، دون الحاجة إلى تجشم متاعب السفر إلى تلك الدول لهذا الغرض.

ولا توجد الوثائق عادة في مكان واحد، صحيح أن هناك دوراً للوثائق تضم الغالبية العظمى منها، ولكن إلى جانبها توجد وثائق أخرى في دور الكتب، وفي المتاحف، والجامعات والكنائس، والأديرة، ودور المحاكم، ولدى بعض الأفراد والهيئات.

ونضرب لذلك مثلاً ببريطانيا، فهناك دار الوثائق البريطانية المسماة بدار الوثائق العامة Puplic Record Office ، ويرمز إليها في الكتب العلمية اختصارا. بـ .P.R.O ، وهذه الدار تنقسم إلى عدة أقسام:

القسم الخاص بالسياسة الخارجية البريطانية وعلاقاتها بالدول الأجنبية، ويسمى بقسم الشؤون الخارجية Foreign Office ، ويرمز إليه أيضاً على سبيل الأختصار بالحرفين .F.O .

وإلى جانب ذلك يوجد "مكتب شؤون الهند" India Office Lil-rary وفي هذا القسم توجد كل الوثائق المتعلقة بحكومة الهند الإنجليزية وعلاقاتها بدول الخليج، والجزيرة العربية، والبحر الأحمر. ويرمز إلى هذه الوثائق بالحروف .I.O.L .

ونظراً لأن بريطانيا كانت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من أكبر الدول البحرية، بل وسيدة البحار، فقد خصصت قسماً خاصاً للشؤون

البحرية يضم كل الوثائق المتعلقة بسياسة بريطانيا البحرية، وتحركات أساطيلها، ومعاركها البحرية، ويطلق عليه اسم Admirality .

بالإضافة إلى ذلك توجد وثائق كثيرة بالمتحف البريطاني British Museum ، وفي مكتبة جامعة كمبردج، وفي مكتبة جامعة أكسفورد، وجامعة لندن، وجامعة درهام وغيرها من الجامعات الإنجليزية.

وللاستفادة من الوثائق يجب أن تكون مفهرسة ومبوبة طبقاً للترتيب الزمني أو طبقاً للموضوعات أو الدول، وإلا كان كل جهد يبذل في البحث جهداً ضائعاً. ومن ثم لجأت الدول الكبرى الى تنظيم الوثائقها وفهرستها بصورة تتيح للباحث سرعة الوصول إلى ما يريد. وزودت دور الوثائق (الأرشيفات) بالأمناء ذوي الخبرة الطويلة والدراية الواسعة بمحتويات الدار، والذين يستطيعون تقديم كل عون للباحثين.

وعلى سبيل المثال إذا أراد باحث أن يدرس أي موضوع في إحدى الولايات العربية التي خضعت للحكم العثماني فعليه أن يبحث عن هذه الدولة تحت كلمة " تركيا " Turkey . وذلك نظراً لأن هذه الدول لم يكن لها كيان مستقل عن الدول العثمانية؛ لذا فقد أدرجت جميعاً تحت اسم تركيا الدولة الحاكمة وصاحبة السيادة على تلك الولايات.

وكما ذكرت من قبل قامت الحكومة البريطانية بنشر مجموعة ضخمة من وثائقها في ثلاثمائمة مجلد تحت عنوان:

Calender of State Popers, 300 vots. Landon.

هذا فضلاً عن الكراسات الزرق Blue Books التي كانت تنشرها

تباعاً والخاصة بمشكلات معينة في مختلف أجزاء العالم، وموقف الحكومة البريطانية منها.

كذلك قامت الحكومة البريطانية بنشر مناقشات البرلمان الإنجليزي بمجلسيه: مجلس العموم. ومجلس اللوردات، وهي ما يطلق عليه اسم مضابط جلسات البرلمان الإنجليزي تحت اسم:

Hansard: Parliamentary Debates

وفي هذه المضابط يجد الباحث مناقشات أعضاء البرلمان الإنجليزي في كل الأمور التي تتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية، وموقف الحكومات البريطانية من تلك الموضوعات، وكذلك رد الحكومة على استجوابات الأعضاء فيما يتعلق بسياستها الداخلية والخارجية، والثقافية، والمالية، والعسكرية، وغيرها. وهذه المضابط تزود الباحث بمادة علمية غزيرة في مختلف الموضوعات المتعلقة ببريطانيا، وبغيرها من دول العالم. ويرمز إلى هذه المجموعة بالحرفين .P.D.

وهناك وثائق أخرى نشرت في مجموعات متعددة، وتتعلق بسياسة بريطانيا الخارجية في فترات زمنية محدودة، وبالمعاهدات والاتفاقيات التي عقدتها حكومة الهند البريطانية مع جيرانها، ولا سيما الدول العربية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر المجموعات التالية:

- Aitchison, C.U.: Collection of Treaties, Engagments and Sanads relating to India and Neighbouring Countries, Delhi 1933, 7 vols.

- British and Foreign Papers, printed and published by His Majesty's Stationary office, 1936, Low School Library, Harbard University.
- Docunents on British Foreign Palicy, 1919 - 1939 vol. 11, Her Majesty 's Stationary Office, Landon, 1968. L.S.L., Harverd.
- Decuments on German Foreign policy, Series D,June 1937-March, 1939, Landon, 1939 L.S.L. Harvard.
- East India Company: ACallection of Tneaties, Engagements and Sanads relating to Lndia and Neighbouring Countries, Calcutta 1865, 7 vols.
- Government of India, Administration Report of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency, for 1887-1888, Calcutta 1888.
- Great Britain, Admiralty, Nayal Staff, Naval Lntelligence Division, Geagraplical Section :A Handbook of Arabia 1916-1917, 2 vals.
- Great Britain, Adimiralty, Naval lntelligence Division Geograplhical Handbook Aeries: Lrag and Persisn Gulf, Oxford, 1944.
- Sadleir, G.F., Dairy of a jaurney across Arabia during the

year 1819, (compiled from the records of Bombay Government), Bombay 1866.

الوثائق الفرنسية

وإذا انتقلنا إلى فرنسا نجدها لا تقل اهتماماً بوثائقها عن بريطانيا، فالأرشيف الفرنسي الذي يقع على نهر السين يعد من أكبر دور الوثائق ومن أعظمها ترتيباً وتنسيقا، ويطلق عليه اسم Qu. d'Orsay .

ونظراً لأن الإمبراطورية الفرنسية كانت تلي الإمبراطورية البريطانية من ناحية الاتساع، فعلاقة فرنسا بالعديد من الدول التي تجاور حدودها أو مستعمراتها كانت كثيرة ومتشعبة، ومن ثم فدار الوثائق الفرنسية غنية بالوثائق التي توضح سياسة فرنسا إزاء مستعمراتها في مختلف أجزاء العالم، لا سيما في القارتين الأسيوية والأفريقية، وسياسة فرنسا إزاء الدول المنافسة لها في مجال الاستعمار، ولذا فالباحث الذي يدرس موضوعاً عن تلك الدول التي خضعت لحكم فرنسا يجب أن يعتمد على الوثائق الفرنسية اعتماداً يكاد يكون كلياً. ومثال ذلك: الدول العربية في شمال إفريقيا، مثل: تونس والجزائر ومراكش، وغيرها.

كما أن أي موضوع يتناول العلاقات الفرنسية بغيرها من دول العالم، لابد أن تمثل الوثائق الفرنسية ركناً أصيلاً فيه، هذا بالاضافة إلى وثائق الدول الأخرى التي تهتم بتلك العلاقات.

فعلى سبيل المثال إذا أراد باحث أن يؤرخ للعلاقات الفرنسية الإنجليزية من عام ١٨١٥ - ١٨٧٠، لا بد له من الاطلاع على الوثائق الموجودة بداري

الوثائق الفرنسية والإنجليزية، وكذلك المنشور منها، والقسم الخاص بالشؤون الخارجية في دار الوثائق الفرنسية يسمى Affaires Etran-geres ويرمز إليه بـ .Aff. Etr.

وقد اهتمت الحكومة الفرنسية بنشر مجموعة كبيرة من وثائقها تيسيراً للبحث التاريخي، فنشرت الوثائق المتعلقة بتاريخ فرنسا حتى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر في مجموعة ضخمة تقع في ثلاثمائة مجلد تحت عنوان :

Collection des Documents Reletif a Lhistoire de Frane, 300 vals. Paris 1836.

وتمثل الوثائق الخاصة بالدولة العثمانية جانباً كبيراً من وثائق الدار نظراً للعلاقات الطويلة التي ربطت بين فرنسا والدولة العثمانية منذ مطلع التاريخ الحديث. ثم احتلال فرنسا مصر عام ١٧٩٨ حيث بقيت ثلاث سنوات وبضع شهور، وجاء بعد ذلك احتلالها للجزائر عام ١٨٣٠، وتونس ١٨٨١، ومراكش ١٩١٢، وجميع هذه البلدان فيما عدا مراكش كانت خاضعة للسيادة العثمانية. هذا فضلاً عن الوثائق الخاصة بالمسألة الشرقية التي كانت شغل دول أوربا الكبرى الشاغل خلال القرن التاسع عشر.

وإلى جانب دار الوثائق الفرنسية توجد المكتبة الوطنية بباريس، وهي تضم الكثير من الوثائق والمخطوطات التي قد لا تجد لها مثيلاً في دار الوثائق الفرنسية، ومجموعتها من الوثائق التي تكمل مجموعة الوثائق في الدار الأم.

كما قامت الحكومة الفرنسية بنشر مجموعة الوثائق الفرنسية وتسمى :

Documents Diplomatiques Francaise وتقع في ثلاثين مجلداً وتضم وثائق من السبعينيات للقرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى .

بالإضافة إلى ذلك أصدرت فرنسا " الكراسات الصفراء " Livres Younes على غرار الكراسات الزرقاء التي أصدرتها الحكومة الإنجليزية ، وهي تضمن الوثائق المتعلقة بموضوع معين في فترة زمنية محدودة .

كذلك أصدرت الحكومة الفرنسية عدة مجموعات أخرى من الوثائق الخاصة ببعض الموضوعات ، مثل : الوثائق المتعلقة ببعثة الجنرال جاردان الى فارس في عهد الإمبراطورية الأولى في فرنسا .

- Alfred de Gardanne: Mission du General Gardanne en perse sous le Premier Empire, 1856.

وكذلك مجموعة مراسلات نابليون بونابرت الرسمية والسرية التي لم يسبق نشرها من قبل :

- Beauyais, G.T.: Correapondance indite officielle et confidentille de Napaleon Bonaparte, paris 1809 - 1820, 8 Tom.

وهناك مجموعة من الوثائق الفرنسية المتعلقة بأفريقيا الشرقية من النواحي التاريخية ، والجغرافية ، والتجارية :

- Guillain, M. : Documents sur l'histoire, la geographie et Le commerce de l'Afrique Orientale, paris 1856, 3 tom.

كما نشرت الحكومة الفرنسية كتاباً وثائقياً عن أصول الوهابية :

- Rqymand, J. : L'arigine des Wahabys, Paris 1810.

الوثائق الأمريكية:

ونعني بذلك الوثائق الخاصة بالولايات المتحدة الأميريكية والتي تضمها " دار الوثائق الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية "

National Archives of the United States of America

وتتبع الدار النظام نفسه الذي تتبعه دار الوثائق البريطانية أو لا يسمح بالاطلاع على الوثائق التي لم يمر عليها ثلاثون سنة.

ومما يلفت النظر إلى هذه الدار أن الوثائق المتعلقة بالمملكة العربية السعودية مدرجة تحت ثلاثة أسماء هي: نجد، والحجاز، والمملكة العربية السعودية، ومقسمة على النحو التالي:

الفترة الأولى : من سنة ١٩٠٦ - ١٩٣٠.

الفترة الثانية : « « ١٩٣٠ - ١٩٤٠.

الفترة الثالثة : « « ١٩٤٠ - ١٩٥٣.

ونظراً لأن الولايات المتحدة الأميريكية دولة كبرى، بل تعتبر أكبر دولة في عالمنا المعاصر ونظرا لارتباطها بعلاقات بكل دول العالم، فإن دار وثائقها على درجة عالية من التنظيم، ومزودة بكل وسائل القراءة والتصوير.

هذا فضلاً عن الكثير من المجموعات الوثائقية التي قامت بنشرها، مثل: مجموعة الوثائق الخاصة بعلاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالشرق الأدنى والأوسط وأفريقيا:

- Fareign Relations of the United States. the Near East and Africa from 1941 - 1948. Washington 1969 - 1971.
- Hurewitz: Diplamaey in the Near and Middle East - a documentary Record. 1914 - 1956 val.1 New york 1958.

ونشرت الحكومة الأمريكية مجموعات أخرى عن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بصفة عامة . مثل :

- Fareign Relations of the United States, 1945 vol. vlll, United States Governments, Printing Office, Washington D.C., L.S.L. Harvard, No. 57/24.
- Fareign Relations of the United States, 1933, vol. 11, United states Government Printing Office, Washington D. C., 1949, L.S.L., Harvard, No. 57/24.

كذلك قامت الحكومة الأمريكية بنشر الاتفاقيات التي تمت بينها وبين جارتها كند، مثل :

- Ercutive agreements, Series Nov., exchange of nates betveen the United States and the Daminion of Conada.

قامت أيضاً بنشر الوثائق الخاصة بالحدود الدولية، مثل :

- International Boundary Study, United States of America, Department of States, issued by the Geagraphical Office of Research in economic and science, L.S.L., Harvard, No. 89. 1947.

ومن الوثائق المنشورة التي لها أهميتها تقرير ببرنامج الأمن القومي للولايات المتحدة:

- Investigation of national Defence Program, Hearings office a Special Committee, investing program, United States Senate, English Congress. First Section, purseant to Sres. 46 - 80 th Congress, 71 - 77 th Congress a resolutim and directing and inwestogation of National Defence Program part 41, printing Offices, L.S.L, Harvard, No U.S. 608 2 NAT.

وهناك مذكرة وثائقية رفعت للرئيس الأمريكي عن البترول والسياسة الأمريكية إزاء قضية فلسطين، مثل:

- Oil and the State Department policy on Palestine, the documentary evidence of how Aramco attempts to destroy resolution of the United Nations, memorandum submitted to the president of the United States, June 1948, by the Nation associates Sovemsey streat, New yerk, I.N.Y.L.S.L. Harvard, No Q 260.

كذلك قامت الحكومة الامريكية بنشر مجموعة الوثائق الخاصة باتفاقيات الحدود بين سلطان نجد وكل من الأردن والعراق، مثل:

- The Secretary of the State for Colonies to parliament by Command of His Majesty - Agreement with the Sultan of Najd regarding certain questions relating to the Nejd - Trans

- Jordan and Nejd frontiers, London published by His Majesty's statianary office, Dec., 1985. Winder Library, Harward, No. Asia 7525.5.

وأفردت الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة أخرى من الوثائق الخاصة بالمعاهدات التي عقدت بين السعودية وتركيا، مثل:

- Turkey Treaties with Saudi Arabia, Winder Library, Harvasat, No. Dtt - 60. 41.

كذلك اهتمت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بنشر الوثائق المتعلقة بالسياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي، مثل:

- Soviet Documents on Foreign Policy, Selected and edited by Jone Degrad. vol. II, 1925 - 1935, Rayal Institute of Inter national Affairs, Oxford Unversity Press. London, 1952, Government School Lilrary, Harvard, No. 12409.
- The Foreign Policy of the Sovict Union, New york, 1960.

هذا قليل من كثير مما نشرته الولايات المتحدة الأمريكية من وثائق، لاسيما مضابط جلسات الكونجرس الأمريكي التي تعد بالمئات من المجلدات.

ومن الدول التي زخرت دور وثائقها بأخبار الدولة العثمانية، دار الوثائق النمساوية نظرا لما بينهما من جوار، ولما خاضه الجانبان من حروب ضد بعضهما، وكذلك دار الوثائق الروسية نظراً لا شتراكهما في الحدود

ولسياسة روسيا في السيطرة على مضيقي البوسفور والدردنيل وصولاً إلى مياه البحر المتوسط الدافئة. وأيضاً أرشيف فلورنسا بإيطاليا المتعلقة بالعلاقات الفلورنسية التركية، وعلى غراره أرشيف مدينة البندقية (فنيسيا).

الوثائق التركية:

إن دار الوثائق التركية باستانبول غنية جداً بالوثائق التي تتعلق بعلاقات الدولة العثمانية بغيرها من الدول، ولا سيما الدول الأوربية - أو تلك التي تتعلق بعلاقاتها بالدول العربية التي خضعت لحكمها. وقد استمر الحكم العثماني لبعض الدول العربية زهاء أربعة قرون، ولكن مما يقلل الفائدة من تلك الوثائق أن الدار لايسمح بالاطلاع على الوثائق التركية إلا تلك التي تقف عند الحرب العالمية الأولى. أما الفترة التي تلي نهاية الحرب فلا يصرح بالاطلاع عليها.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالدار لم تفرغ بعد من ترتيب، وتنظيم ما تحويه من وثائق، وبناء عليه فلا يستطيع الباحث، والحالة هذه أن يستفيد من كل ما هو موجود بالدار مما يتعلق بموضوع بحثه. أضف إلى ذلك أن اجراءات التصريح بالاطلاع على الوثائق ليست سهلة وتستغرق وقتاً طويلاً.

والوثائق التركية مكتوبة باللغة التركية القديمة التي كانت تكتب بالحروف العربية، ولا يتبادر إلى ذهن الباحث أن جميع وثائق الدار باللغة التركية، بل إن جزءاً ليس قليلاً منها مكتوب باللغة العربية. كما أن الدار

تقوم بترجمة الوثائق إلى اللغة العربية إذا ما طلب منها ذلك. وهناك العديد من المجلدات التي تضم الوثائق الخاصة بالجزيرة العربية وضعت تحت اسم: " أوراق باب عالي " .

وعلى أي حال فإن الباحث العربي لم يستغل الوثائق التركية بعد، خصوصاً إذا وضعنا في اعتبارنا أن معظم الدول العربية قد خضعت للحكم العثماني، وأن التأريخ لتلك الدول يتطلب بالضرورة الرجوع إلى الوثائق التركية. ففترة الحكم العثماني للبلاد العربية التي وصلت إلى أربعة قرون لم تبحث بعد بشكل جدي؛ لأن معظم الباحثين قد ركزوا اهتمامهم على دراسة تلك الدول في القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، وقلما وجدنا باحثاً يهتم بأوضاع تلك البلاد في القرن السادس عشر، والسابع عشر، والثامن عشر. ولو أن الاتجاه في الجامعات المصرية أخيراً يركز على دراسة القرون الثلاثة السابقة بعد أن نضبت موضوعات الدراسة في القرن التاسع عشر والعشرين.

وخلاصة القول فإن دراسة تاريخ الدولة العثمانية في نشأتها ونموها ثم ضعفها لا يمكن أن تتم بشكل علمي جاد، إلا إذا اتيحت الفرصة للباحثين للاستفادة من تلك الوثائق، وبدونها تكون الدراسة ناقصة وسطحية.

إذا إنتقلنا الى الدول العربية نجد هنا في المملكة العربية السعودية تقوم دارة الملك عبد العزيز بجمع وتصوير الوثائق المتعلقة بالمملكة العربية السعودية، وقبل أن يطلق عليها هذا الاسم مثل: نجد والحجاز وحفظها في الدارة لتكون تحت تصرف الباحثين. ويوجد منها مجموعة من الوثائق

الإنجليزية تقوم بترجمتها إلى اللغة العربية، وكذلك مجموعة من الوثائق التركية يتولى ترجمتها مترجمون مختصون. كما نقلت الكثير من الوثائق من دار الوثائق القومية المصرية بالقاهرة. وبمرور الزمن وبتوالي عملية الجمع ستثري الدارة بالوثائق، وتصبح عوناً للباحثين على القيام ببحوثهم.

وبالإضافة إلى هذا العمل قامت المملكة العربية السعودية بنشر الكثير من الوثائق المتعلقة ببعض المشكلات السياسية، أو الاتفاقيات التي كانت طرفاً فيها مثل:

- بيان عن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإمام يحيى حميد الدين، المسمى بالكتاب الأخضر السعودي - مكة المكرمة - مطبعة أم القرى ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م).
- مجموعة المعاهدات السعودية - مكة المكرمة - بدون تاريخ.
- عرض حكومة المملكة العربية السعودية التحكيم لتسوية النزاع بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية - ثلاثة أجزاء - الرياض ١٣٧٤هـ/ ١٣٥٥م.
- اتفاقيات شركة استثمار البترول ومستخرجاته والمعادن ١٣٥٩هـ - مطبعة الحكومة السعودية.
- المملكة العربية السعودية ووزارة الخارجية الأمريكية، خريطة الجزيرة العربية ١٩٥٧.
- المملكة العربية السعودية، تعليمات قانون خاص بالعامل والشاغل، المرسوم الملكي في ٢٥ ذي القعدة ١٣٦٦هـ (١٠ أكتوبر ١٩٤٧)، مطبعة الحكومة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧.

- مجموعة الوثائق التي نشرت في الكتاب السعودي عن العلاقات بين السعودية واليمن، وتشتمل على ١٦٧ وثيقة تاريخية، نشرت في جريدة أم القرى في الأعداد التي صدرت خلال شهر مايو ١٩٣٤م.
- وثائق مصورة بمعهد الإدارة بالرياض وتتعلق بالشؤون القضائية.
- تقرير عن تصريف المياه في منطقة القطيف في سبتمبر ١٩٥٥/ ٢٧ محرم - ١٢ صفر ١٣٧٥هـ، أعده فرانك هد. نائب شركة أرامكو (مكتبة شعبة البحث بشركة ارامكو بالظهران).
- تقرير عن أعمال وزرة المعارف السعودية خلال عامي ١٣٨٤ - ١٣٨٥هـ (١٩٦٤ - ١٩٦٥م).
- تقرير صادر عن مديرية الصناعات العربية بشركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران، رقم س ٥٨١٠ (مكتبة شعبة البحث بشركة أرامكو بالظهران)
- تقارير عن سير العمل بشركة أرامكو مقدمة ألى الحكومة السعودية قبل شركة الزيت العربية الأمريكية عن السنوات ١٩٥٠م، ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٣.
- تقرير عن وضع الزراعة المروية في المنطقة الشرقية في السعودية في أكتوبر ١٩٦٨، صادر عن الأبحاث السعودية - الألمانية، الأحساء، إعداد أرنولد ساكس، ترجمة المهندس الزراعي شعبان شراب.
- وزارة المالية السعودية، نظام العمل والعمال - صدر الأمر الملكي بالموافقة عليه سنة ١٣٦٦هـ، مطبعة الحكومة ١٣٦٧هـ.

- وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مصلحة الإحصاءات العامة، المملكة العربية السعودية، الكتاب الإحصائي السنوي لعام ١٣٨٥هـ/ ١٣٦٥م.

هذا فضلاً عن الكثير من الوثائق التاريخية، والبحوث، والميكروفلم، والرحلات الأجنبية الخاصة بتاريخ الجزيرة العربية، والمحفوظة بالمكتبة المركزية بالظهران والتابعة لشركة أرامكو.

وإذا تناولنا دور الوثائق الموجودة بمصر نجد على رأسها " دار الوثائق القومية بالقاهرة "، وكانت موجودة قبل ذلك بالقصر الملكي بعابدين قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وبقيت بعد ذلك عدة سنين إلى أن نقلت الى مكانها الحالي بالقلعة؛ ولذا نجد أن الكتب والرسائل العلمية التي طبعت قبل الثورة وبعدها بعدة سنوات كانت تشير في هوامشها ومصادرها الى تلك الوثائق باسم وثائق عابدين نسبة إلى مكان وجود تلك الوثائق.

وتضم هذه الدار كل الوثائق الخاصة بتاريخ مصر طوال القرن التاسع عشر، أي منذ عصر محمد علي، ثم عباس الأول، وسعيد، وإسماعيل، وتوفيق. والحقيقة أن الحكومة المصرية قد اهتمت اهتماماً كبيراً - منذ الثلاثينات من هذا القرن - بترجمة، وتنظيم، وتبويب تلك الوثائق. ومعظم الوثائق كتبت باللغة التركية القديمة المكتوبة بحروف عربية، ولم تكن عملية الترجمة كاملة، فمعظم تلك الوثائق ترجمت ترجمة مختصرة، توفيراً للوقت وللجهد، ولإتاحة الفرصة للباحثين ليعرفوا مضمون تلك الوثائق. أما الوثائق الهامة فتترجم ترجمة كاملة، ويمكن للباحث الذي لا يكتفي بالترجمة المختصرة أن تترجم له الوثيقة ترجمة كاملة.

وليست الدار قاصرة على الوثائق التركية فحسب، وإنما بها الكثير من الوثائق المكتوبة باللغة العربية مع ركاكة في الأسلوب، والاختلاط بالعبارات والمصطلحات التركية التي دخلت على اللغة العربية في تلك الفترة، والتي كانت تجري على لسان عامة الناس وخاصتهم.

ونظراً للعناية الخاصة التي حظيت بها وثائق القرن التاسع عشر، فقد تركزت عناية الباحثين في دراسة هذا القرن دراسة مستفيضة من النواحي السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والحربية، وغيرها، بحيث يصعب على الباحث أن يجد موضوعاً في تاريخ مصر في القرن التاسع عشر لم تكتب فيه رسالة.

وقد تدفق على مصر في الثلاثينات عدد من العلماء الأجانب، فتحت لهم مصر ذراعيها، وشجعتهم وبذلت لهم المال والتسهيلات لدراسة تلك الوثائق والكتابة عن تاريخ مصر في عهد محمد علي وخلفائه من بعده، معتمدين على الوثائق التركية والعربية والإفرنجية التي ترجمت لهم إلى اللغة الفرنسية، فظهرت العديد من الكتب الضخمة التي كتبها دوان Douin ، وساماركو Sammarco ، وهانوتو Hanatoux وغيرهم.

وجاء في أثر هؤلاء الرعيل الأول من مؤرخي مصر الحديثة، فكتبوا في تاريخ مصر في القرن التاسع عشر بأقلامهم المصرية، وعلى رأس هؤلاء محمد شفيق غربال مؤسس مدرسة التاريخ الحديث في مصر، والدكتور محمد صبري، والدكتور محمد فؤاد شكري، والدكتور أحمد عزت عبدالكريم، والدكتور محمد مصطفى صفوت.

وخلفهم جيل آخر من تلامذتهم أسهموا بدورهم في كتابة تاريخ مصر في العصر الحديث. ويمكننا القول أن دار الوثائق القومية قد أثرت دون شك الكتابات التاريخية الحديثة، وما زالت منهلاً لا ينضب لتاريخ مصر في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

أما دار الوثائق الثانية فتسمى " دار المحفوظات المصرية " في القلعة بالقاهرة، وهي تحتوي على الآلاف من الوثائق التي تتعلق بتاريخ مصر العثمانية، أي الفترة التي بدأت بالغزو العثماني لمصر في مطلع القرن السادس عشر إلى بداية عهد محمد علي. ومعظم تلك الوثائق تدور حول تاريخ مصر المالي والإداري في العهد العثماني، وفي عهد محمد علي وخلفائه من بعده.

ولكن الصعوبة التي تواجه الباحث في تاريخ تلك الفترة هي أن أغلب تلك الوثائق مدون باللغة التركية وبخط القرمه، وهو خط يكتب بطريقة خاصة لا يستطيع قراءته إلا من درس طريقة تلك الكتابة ولو كان يعرف التركية معرفة جيدة.

ونظرا لقلة عدد من يعرفون هذا الخط، بالإضافة إلى الكميات الضخمة من تلك الوثائق، ظلت بعيدة عن متناول الباحثين، رغم ما بذله المترجمون الذين لهم دراية بهذا الخط من جهود. وترتب على ذلك قلة المترجم من تلك الوثائق، وبالتالي قلة الأبحاث التي تناولت تاريخ تلك الفترة.

وهناك صعوبة أخرى وهي أن وثائق تلك الدار لم تنظم تنظيماً كاملاً، يتيح للباحثين العثور على ما يحتاجون إليه، وإن كانت الجهود مازالت تبذل لإنجاز هذا العمل.

ولم يكن خط القرمه وحده الذي كتبت به تلك الوثائق، وإنما هناك خطوط أخرى مثل الخط الديواني، والطومار، والغبار، وكلها خطوط تحتاج إلى دراسة ومران لمعرفتها. وقد أسهم الأستاذ محمد محمد توفيق الذي كان يعمل مترجماً ومفهرساً لتلك الوثائق بالدار في ترجمة الكثير منها، وفي كتابة العديد من المقالات في تاريخ مصر، معتمداً على ما تحت يديه من وثائق، وكان موضوع دراسته لدرجة الماجستير من كلية الآداب - جامعة القاهرة هو:

" مصطلح وثائق تاريخ الحكم العثماني في مصر "، وهو ما زال مخطوطاً.

وعندما كان المؤرخ الأمريكي استانفوردشو Stanford Show يعد دراسته للدكتوراه عن " النظام المالي والإداري وتطور مصر العثمانية من ١٥١٧ - ١٩٥٧ " من جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية زار مصر في الفترة من ١٩٥٥ - ١٩٥٧، وتردد على دار المحفوظات، وأفاد من خبرة توفيق وعلمه بالوثائق التركية.

ودار الوثائق الثالثة بمصر تسمى: دار وثائق مصر المعاصرة، وهي حديثة العهد، وتوجد بمبنى دار الكتب الجديد على النيل، وتضم هذه الدار

الوثائق التي تتعلق بتاريخ مصر في القرن العشرين. ويقوم بعض الموظفين المدربين بنقل الوثائق المتعلقة بتلك الفترة أو بنسخ صور منها من مختلف الوزارات والهيئات والمؤسسات، ودور المحاكم وإيداعها في الدار. ثم القيام بترتيبها وتنظيمها وفهرستها ليتسنى للباحثين الاستفادة منها.

ومن بين المجموعات الوثائقية التي ضمتها الدار مجموعة وجدت بقصري القبة وعابدين يرجع تاريخها الى الفترة السابقة لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ونظراً لاهتمامات الدار بالتاريخ المصري المعاصر، فقد قامت بعمل مقابلات شخصية مع رجال مصر ممن عاصروا أحداثها واشتركوا فيها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو ممن لهم اهتمامات بالسياسة، وذلك لتدوين ما لديهم من معلومات عن تلك الفترة، ومعظمهم ممن شغلوا مناسب حساسة وهامة - لحفظها بالدار قبل أن ينتقل هؤلاء إلى الرفيق الأعلى، وتذهب بموتهم الكثير من الحقائق.

وتحاول الدار كذلك اقتناء مذكرات كبار الساسة السابقين، وكلهم قد أسهم بنصيب قل أو كثر من أحداث تلك الفترة. وبمرور الوقت يزداد ثراء الدار بالوثائق الضرورية لتدوين تاريخ مصر المعاصر. وقبل أن أختم كلمتي عن دور الوثائق في مصر يجب أن أنوه بالجهود التي بذلتها " دار الوثائق القومية " في تصوير معظم الوثائق الخاصة بمصر، والمتعلقة بالقرن التاسع عشر، من دور الوثائق الأجنبية، فنقلت عن وزارة الخارجية

الفرنسية Ministere des Affaires Etrangeres مجموعة كبيرة وحفظتها بالدار ويرمز إليها بـ .Aff. Etr. Corr. Polit .

كذلك نقلت عن وزارة الخارجية الأمريكية الرسائل المتبادلة بين قناصل الولايات المتحدة الأمريكية العامين في مصر، ووزارة الخارجية الامريكية، والخاصة بشؤون مصر الداخلية، والخارجية، وحفظت بالدار تحت عنوان:

Egyptian Despatches from the Consulate General of the United States of America in Egypt to the Department of States Washington.

ويرمز إليها بـ .Amr. Doc

أما في بقية الدول العربية الأخرى، فتوجد بالمكتبة الظاهرية بدمشق وثائق تتعلق بتاريخ سوريا في ظل العثمانيين، ومدونة بخطي القرمه والديواني، وترجع إلى القرن الحادي عشر الهجري.

كذلك نجد وثائق تتعلق بفلسطين تحت الحكم التركي، أو كما كانت تسمى وقتئذ بسنجقية القدس، بسجلات المحكمة الشرعية بالقدس.

وهناك في مدينة تونس توجد مجموة كبيرة من الوثائق التي تتعلق بالأوضاع التونسية في ظل الحماية الفرنسية منذ عام ١٨٨١ وقبلها في قصر باردو أو قصر السعيد.

وخلاصة القول فالوثائق التاريخية ضرورية لكتابة التاريخ كتابة علمية

موثقة وجادة. ولكن يجب أن يعرف الباحث بأن الوثائق التي تسمح الحكومات بنشرها لا تعطي صورة حقيقية لخفاياها، ولما يحتمل أن يكمن بين سطورها؛ وذلك لأن الباحث لا يرى الوثيقة إلا في صورتها النهائية. وعادة يكون الوصول إلى هذه الصورة النهائية بعد مناقشات ومساومات وتعديلات على الأصل، وكل هذه الأشياء لا يعرف عنها الباحث شيئاً؛ وذلك لأن الحكومات لا تنشر المحاضر الرسمية الخاصة التي أسفرت عنها صدور تلك الوثيقة في شكلها النهائي.

كما أنها لا تنشر مسودات تلك الوثائق التي تكون عادة مليئة بالتعليقات، وبتغيير بعض الجمل والعبارات أو حذفها. وكل تلك التغييرات والتعديلات والحذف قد تم بعد أخذ ورد، وجدال، ومناقشة، واتصالات، واجتماعات لا يعرف الباحث عنها شيئا؛ ولهذا قلنا بأن الوثيقة لا تعطي صورة حقيقية بخفاياها.

ومن الأشياء التي تأخذ صفة الوثائق الصور والرسوم التي تصور شخصيات العصر، وسلوكهم، وطريقة معيشتهم. وكذك الصور التي تبين معالم المدن والمناطق التاريخية، وما كانت عليه من عمران، أو ما أصابها من دمار وخراب بسبب الحروب، والثورات والفتن.

كذلك تعتبر مخلفات الإنسان الخاصة مثل: ملابسه، ومسكنه، وما به من فراش وأثاث، وما يضمه من لوحات وأسلحة، وما كان يستخدمه من أدوات الكتابة، وآلات العزف وثائق أو في حكم الوثائق؛ لأنها تعطينا صورة حية للحياة كما كان يحياها إنسان ذلك العصر والتي لا تستطيع الوثائق الرسمية أن توضحها.

وثائق هيئة الأمم المتحدة:

عندما خرجت هيئة الأمم المتحدة إلى حيز الوجود بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ كوريثة لعصبة الأمم التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى واستمرت حتى الحرب العالمية الثانية. وقعت الدول المحبة للسلام والتي اشتركت فيها على ميثاقها الذي يعد الوثيقة الأولى والهامة لنشأتها ووجودها.

بدأت الأمم المتحدة تمارس نشاطاتها السياسية عن طريق مجلس الأمن، والجمعية العامة، ونشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن طريق هيئاتها أو منظماتها المتخصصة كهيئة اليونسكو، والصحة العالمية، والأغذية والزراعة، والعمل الدولة وغيرها. وهذه الهيئات المتخصصة يشرف عليها جميعاً المجلس الاقتصادي، والاجتماعي وهو أحد الأقسام الرئيسية في هيئة الأمم المتحدة.

وقد حرصت هيئة الأمم المتحدة بأقسامها المختلفة على إصدار نشرات عن أعمالها سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية بشكل دوري تعرض فيه المشكلات الدولية التي عرضت على مجالسها المختلفة والقرارات التي اتخذت بشأنها. فمعظم قضايا الاستقلال التي حصلت عليها الدول الأسيوية والأفريقية بعد الحرب العالمية الثانية قد عرضت على الأمم المتحدة ونوقشت لمدد قد تطول وقد تقصر وصدر في شأنها القرارات التي منحتها الاستقلال أو هيأت لها السبل للحصول على الاستقلال، كل هذه وثائق تعد على درجة كبيرة من الأهمية.

كذلك تقوم منظمة الأغذية والزراعة بإصدار الكتيبات التي توضح إنتاج دول العالم من المواد الغذائية الرئيسية مثل: القمح والذرة والشعير، وتضع الدول المصدرة في جانب والدول المستهلكة في جانب آخر، ومدى حاجة العالم إلى الكميات الضرورية من كل نوع، وتدق ناقوس الخطر إذا ما وجدت بأن الاستهلاك ينمو بشكل أكبر من الإنتاج. كل هذه وثائق مهمة من الناحية الاقتصادية، وهي وثيقة الصلة بالناحية السياسية.

وثائق جامعة الدول العربية:

جامعة الدول العربية منظمة إقليمية تعمل لحفظ الأمن والسلام للدول المشتركة فيها، كذلك تعمل على توفير الرخاء للمنطقة العربية عن طريق التعاون في مختلف المجالات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والعسكرية وغيرها. فهي من هذه الناحية تسير وفق ميثاق خاص بها، يتمشى مع ميثاق الأمم المتحدة في أهدافه ومراميه.

ومنذ نشأتها خلال الحرب العالمية الثانية، وهي تسهم بقدر ما تستطيع في حل مشكلات الدول الأعضاء، وتعمل الجامعة العربية من خلال مجالس، مثل: مجلس الجامعة العربية، وهيئة اليونسكو العربية، ومجلس وزراء الخارجية العرب، والمجلس الاقتصادي، والمجلس العسكري.

وقد حرصت الجامعة العربية على اصدار العديد من النشرات التي تتضمن القرارات التي اتخذتها في مختلف القضايا التي عرضت عليها. وهناك ايضاً مضابط جلسات مجلس الجامعة في دوراته المختلفة. ونورد على سبيل المثال، لا الحصر، بعض تلك النشرات:

- ملخص محاضر مشاورات الوحدة العربية مع العراق، والأردن، والعربية السعودية، ولبنان، واليمن، القاهرة ١٩٤٩ .
- محاضر جلسات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام في الإسكندرية، القاهرة ١٩٤٩ .
- محاضر جلسات اللجنة الفرعية السياسية لوضع مشروع ميثاق جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٤٩ .
- محاضر المؤتمر العربي العام بالقاهرة، القاهرة ١٩٤٩ .
- تصريح الولايات المتحدة الأميريكية وبريطانيا وفرنسا الصادر في ٢٥ مايو ١٩٥٠ بشأن تسليح الشرق الأوسط، ورد الدول العربية على هذا التصريح في ٢١ مايو ١٩٥٠ .
- مضابط جلسات مجلس الجامعة في دورات انعقاده من عام ١٩٤٥ - ١٩٥٤ .
- خطب الوفود العربية في مؤتمر فلسطين بلندن في سبتمبر ١٩٤٦، القاهرة ١٩٤٧ .
- الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين - المجموعة الأولى من ١٩١٥ - ١٩٤٨، القاهرة (بدون تاريخ) .
- قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين منذ الدورة الأولى حتى الدورة الخمسين، يونيو ١٩٤٥ - سبتمبر ١٩٦٨، القاهرة ١٩٧٠ .

- مذكرة عن مراحل تطور قضية فلسطين مرفوعة الى مجلس الجامعة في دورة انعقاده العادي الثاني والثلاثين، القاهرة (بدون تاريخ) .

وخلاصة القول فإن هذه الوثائق تلقي الضوء على جهود جامعة الدول العربية في مواجهة مشكلات المنطقة، بل هي تؤرخ في الوقت نفسه لجامعة الدول العربية فضلاً عن المشكلات التي عالجتها .

٢- المذكرات الشخصية:

تلي المذكرات التي يكتبها رجال الدولة من الساسة، والعلماء، والكتاب، وكبار القادة العسكريين، والقضاة، الوثائق في الأهمية. وهي بطبيعتها تلقي الضوء على الجوانب التي لم تتعرض لها الوثائق التاريخية ؛ لأنها لا تدخل ضمن اهتماماتها. كما أن المذكرات تعطينا تفصيلات كثيرة عن الخلفيات والظروف التي يتم فيها حادث ما، وهي أمور قد تغفلها الوثائق الرسمية إغفالاً يكاد يكون تاماً .

هذا بالإضافة إلى أن العامل الإنساني أو الشخصي يظهر بوضوح أكثر نكاد في المذكرات، بينما لا نكاد نلمس ذلك في الوثائق، لأن في المذكرات مجالاً واسعاً لبيان مجهودات كاتب المذكرة في تشكيل الأحداث التاريخية وتوجيهها الوجهة التي يريدها، والعكس صحيح، فربما يكون ضعف الكاتب سبباً في أن تسيطر عليه مجريات الأحداث، فيفقد القدرة على توجيهها كما ينبغي، وتكون النتيجة حدوث ما لم يكن يتوقعه، أو ما لم يكن يخطط له من قبل .

وللمذكرات التاريخية أهمية كبيرة يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: إن معظم المذكرات التي تحت أيدينا قامت بتدوينها شخصيات شغلت مناصب قيادية: كحكام، ووزراء، وسفراء، وممثلين سياسيين، وقادة جيوش، وزعماء، ورؤساء أحزاب، وأعضاء في المجالس النيابية. وكل هؤلاء قد أسهموا بطريقة أو بأخرى في صنع تاريخ بلادهم بأنصبة متفاوته، أي أن كلا منهم قد خط سطراً أو عدة سطور في تاريخ بلاده في الفترة التي تقلدوا فيها مناصبهم، وفي الأوضاع التي مكنتهم من التأثير في مجريات الأمور، سواء أكانوا في مقاعد الحكم أو في صفوف المعارضة. فالزعماء السياسيون، ورؤساء الأحزاب قد يؤثرون في أحداث بلادهم وهم خارج الحكم وبعيداً عن المناصب الرسمية أكثر مما يؤثرون فيها وهم بداخله.

ثانيـــاً: إن هؤلاء (كتاب المذكرات) بحكم ظروف أعمالهم، وبحكم ما لديهم من سلطات، وبحكم اطلاعهم على الوثائق والمستندات الرسمية للدولة، أقدر على كتابة المذكرات الموثوق بها إلى حدٍّ كبير، فمعلوماتهم مستقاة من وثائق رسمية ليست متاحة للكثير من الباحثين، فإذا أخلص هؤلاء في الكتابة جاءت مذكراتهم على درجة كبيرة من الأهمية، وذلك لأنهم ليسوا من المعاصرين للأحداث فحسب، وإنما شاهدوها وشاركوا في صنعها.

ثالثـــاً: يعد كتاب المذكرات شهود عيان لأحداث عصرهم، وتمتاز كتابات شاهد العيان بكثرة التفصيلات، وبدقة الوصف، بعكس كتابات

من جاؤوا بعدهم، ليكتبوا عن فترة لم يعايشوها ولم يتأثروا بها أو يؤثروا فيها.

رابعـاً : إن الوثائق التاريخية تعطينا معلومات جافة إذا ما اعتمدنا عليها وحدها في تدوين التاريخ، ولكن المذكرات تعطي الكتابات التاريخية الألوان والظلال، بحيث تبدو أقرب إلى الحقيقة والواقع.

ورغم الأهمية التي أوضحناها سالفاً، فقد وجه إلى المذكرات الكثير من النقد، وهي تمثل نقاط الضعف في تلك المذكرات، يجب أن يعيها الباحث، وأن يحترس منها حتى لا يقع بحسن نية في أخطاء كان يمكن تداركها إذا ما استخدم ملكة النقد الاستخدام الواجب في مثل تلك الأحوال. ويمكننا أن نجمل أوجه الضعف هذه في الأمور التالية.

أولاً: قلما يعترف كاتب بعجزه أو قصوره أو أنه قد ارتكب خطأ أو إهمالاً. وبناء عليه فإن معظم كتاب المذكرات إذا ما شعروا بأن القارئ سيحس بهذا الخطأ أو الإهمال لجأ إلى سوق المبررات والتبريرات التي تنقذه من اللوم. ومن حكم التاريخ. كأن يدّعي بأن هناك أوامر عليا أملت عليه هذا التصرف، فهو لم يكن حرَّ الإرادة لا تخاذ الموقف اللازم في هذه الحال. وطالما كان الإنسان غير حرِّ الإرادة فهو من وجهة نظره غير مسؤول عما يفعل

ثانيـاً: إذا ذكر أحد هؤلاء الكتاب عملاً جليلاً تم إنجازه أثناء قيامه بالعمل نسب إلى نفسه كل الفضل فيه أو بعضه على الأقل، كأن يذكر بأنه

أوحى إلى المسؤولين القيام بهذا العمل، أو نصحهم بذلك، أو أن له فضل تنفيذه على النحو الذي تم عليه، متناسياً تماما أصحاب الفضل الحقيقيين، أو الإشارة إليهم من طرف خفي يوهم القارئ بأن دورهم في هذا العمل كان ثانوياً. وهذا ضعف إنساني موجود في غالبية الناس.

ثالثاً : إذا كان كاتب المذكرة أحد القادة العسكريين المنتصرين، لجأ إلى المبالغة في قوة العدو الحربية، وفي مدى استعداداته العسكرية، وفي حرج موقفه هو ودقته وصعوبته، وفي قلة ما لديه من جنود وعتاد إذا ما قورن بقوة عدوه، كل هذا يذكره لتضخيم انتصاراته، ولإعطائها حجماً أكبر مما تستحق.

رابعاً : أما إذا كان كاتب المذكرة من القادة المنهزمين، وجدنا في كتاباته نغمة أخرى تختلف عما ذكره زميله المنتصر كل الاختلاف. فهو يبالغ أيضاً في قوة عدوه، وفي مدى استعداده العسكري، وفي قلة ما لديه هو من عدد وعدة؛ ولذا فقد غالب قيادته العسكرية بإرسال المزيد من الرجال، والسلاح، ولكن قيادته لم تلبي طلبه، فهو اذاً لم يقصر في أداء وظيفته، وذلك لضعف إمكاناته وقد يكون في هذا بعض الصحة، ولكنه لا يمثل الحقيقة كاملة، فهو ربما أغفل أو أهمل أو تواكل انتظاراً لوصول المدد المرتقب دون أن يقوم هو بما تمليه عليه الظروف في مثل تلك الأحوال.

وإذا تناولنا على سبيل المثال - مذكرات نابليون بونابرت التي

كتبها في منفاه عن حياته وما خاضه من حروب، وما أحرزه من انتصارات، وما مني به من هزائم، ثم تخيلنا أن نابليون لم ينهزم، وأنه دوَّن مذكراته بعد الانتصار، فهل تجيء تلك المذكرات مشابهة للمذكرات الأولى؟ كلا إن المنهزم في حاجة دائمة الى تبرير أفعاله، أما المنتصر فليس في حاجة إلى تبرير، لأن السيف كما يقول الشاعر أصدق أنباءً من الكتب. وأخشى ما يخشاه المهزوم هو حكم التاريخ.

خامساً: ليست كل المذكرات على درجة واحدة من الأهمية، ولا على درجة واحدة من الحيدة والصدق وتوخي الحقائق. وقد تتلون المذكرة بلون كاتبها، فإذا كان من الحزب المعارض للحكم وقتذاك، لا بد أن نأخذ كل ما يذكره خاصاً بهذا الحكم - بنوع من الحيطة والحذر. وكذلك الشأن إذا كان من أنصاره. ومن هنا يجب أن نلم بتاريخ حياة كاتب المذكرة بدقة لنعرف ما إذا كان ممن يطمئن الباحث إلى كتاباته أو ممن يفتقرون إلى الثقة.

وإذا تناولنا بعض هذه المذكرات على سبيل المثال لا الحصر، ولنبدأ بمذكرات السير ونستون تشرشل Sir Winston Thurchill رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية والذي قاد بلاده في أحلك الفترات التي مرت بها إلى النصر. وكان أحد زعماء العالم الكبار في الأربعينات من القرن العشرين، وممن أسهموا في تشكيل خريطة هذا العالم بعد تتلك الحرب، وممن صنعوا كل الاتفاقيات الدولة والتسويات التي سارت العالم، والتي مازالت سارية حتى يومنا هذا.

فمذكرات تشرشل إذًا لا غنى عنها عند تأريخ الحرب العالمية الثانية: أسبابها ووقائعها، والمعارك الحربية الفاصلة فيها، أطوارها، المؤتمرات التي عقدت خلالها، ونتائجها. بل إننا لا نستطيع الاستغناء عنها عند كتابة تاريخ القارة الأوربية وقتئذ، وتاريخ العالم أيضاً. فتشرشل بحكم تجربته الطويلة في الحرب والسياسة والحكم، وبحكم معرفته بساسة أوربا والعالم منذ العشرينيات لهذا القرن (القرن العشرين)، وبحكم صلته الوثيقة بالولايات المتحدة الأمريكية - إذ إنه ولد من أم أمريكية - ومعرفته التامة بقادة الاتحاد السوفيتي، وفوق هذا وذاك فقد كان يمتلك ناصية اللغة الإنجليزية وأحد كتابها الكبار.

كل هذه الأشياء قد صنعت من تشرشل رجلاً له نسيج خاص بين ساسة عصره، ومنحته القدرة التامة على الكتابة بعمق، من واقع المسؤولية، ومما تحت يديه من وثائق هو أحد صانعيها، باحثاً عن الأسباب، متتبعاً للأحداث بكل دقة وتفصيل، محللاً، ناقداً، عارضاً للنتائج ومفلسفاً لها.

وبالإضافة إلى تلك المذكرات، فقد كتب عن الحرب العالمية الثانية، موسوعة تقع في اثني عشر مجلداً.

ويمكننا القول بأن مذكرات تشرشل - أحد صانعي السياسة في عالمنا المعاصر - تعتبر على درجة كبيرة من الأهمية - لا بالنسبة لتاريخ بريطانيا وأوربا في تلك الفترة - وإنما بالنسبة لتاريخ العالم أجمع.

وإذا تناول مذكرات شخصية أخرى عظيمة عاصرت تشرشل وأسهمت معه في إدرة دفة الحرب، ألا وهي شخصية الجنرال شارل ديجول رئيس جمهورية فرنسا الأسبق - وقد ترجمت إلى اللغة العربية كما ترجمت

مذكرات تشرشل أيضاً - نجد أن شارل ديجول كان أحد زعماء هذا العصر دون شك، وممن قاموا بدور بارز في الحرب العالمية الثانية، لاسيما عندما هزمت فرنسا في بداية تلك الحرب أمام جحافل الألمان، إذ وقع على عاتقه جمع فلول القوات الفرنسية المدحورة، وإعادة تنظيمها من جديد، مكوناً جيش فرنسا الحرة، ثم أصبح ممثلاً لحكومة فرنسا الحرة في المنفى بعد أن خضعت فرنسا بأكملها للحكم النازي.

وظل ديجول طوال تلك الفترة يعمل بالتعاون مع قوات حلفائه بريطانيا والاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية في تغذية المقاومة الداخلية في فرنسا ضد الحكم النازي، ثم اشترك بقواته في غزو أوربا، وتحطيم قوة ألمانيا النازية، وتخليص فرنسا من قبضة الاحتلال الألماني.

وحاول جاهداً - رغم هزيمة فرنسا، وضعف مركزها أمام حلفائه - أن يستعيد مركز فرنسا من جديد، وأن يسهم مع زعماء المعسكر الغربي في وضع خريطة العالم الجديدة.

وقد اشتغلت الثورة الجزائرية في عام ١٩٥٤ واستمرت عدة سنوات أنهكت فرنسا من الناحية المالية إنهاكاً شديدا، ولم يستطع ساسة فرنسا في ذلك الوقت حل مشكلة الثورة الجزائرية وذلك لتمسك الشعب الفرنسي بالجزائر واعتبارها طبقاً للدستور الفرنسي جزءاً من فرنسا. وكان ديجول يدرك أن الحرب الجزائرية التي شنتها الحكومة الفرنسية ضد الثورة قد استنفدت طاقة فرنسا المادية والعسكرية، وأنه إذا ما تولى حكم فرنسا فسيعمل على إنهاء تلك الحرب مهما كلفه ذلك من قبل المعارضة القوية

داخل فرنسا. وقد حاول المعارضون لتلك السياسة اغتياله عدة مرات، ولكن هذه المحاولات لم تثنه عن عزمه في منح الجزائر حق تقرير المصير.

وبعد أن فرغ من المشكلة الجزائرية تفرغ لإعادة بناء فرنسا من جديد لتصبح الدولة الأوربية الأولى كما كانت من قبل، لا سيما بعد أن هزمت ألمانيا وقسمت أراضيها بين الدول الأربع الكبرى الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي وإنجلترا وفرنسا، وبعد أن ضعفت إنجلترا إلى حدٍّ كبير. ونجح في القضاء على تبعية فرنسا للولايات المتحدة الأمريكية، وبدأ يعمل على إضعاف تبعية دول غرب أوربا للولايات المتحدة الأمريكية سياسياً واقتصادياً، ونادى بمبدأ أوربا للأوربيين، وذلك لإزاحة السيطرة الأميريكية، بعد أن استعادت دول غرب أوربا قوتها التي فقدتها في الحرب العالمية الثانية.

ومما يعطى هذه المذكرات أهمية كبرى - بالإضافة إلى اشتراك ديجول اشتراكاً فعلياً في أحداث عصره - ما عرف عنه من استقامة في الخلق، وجرأة في إعلان رأيه والدفاع عنه، وبعده عن الأساليب الملتوية للسياسة الدولية، وصراحته فيما يقول أو يكتب.

وفي ميدان السياسة والحرب نجد مذكرات ايزنهاور. كان إيزنهاور أحد رجال الحرب الأمريكيين، وممن تولى قيادة قوات الحلفاء في أوربا خلال الحرب العالمية الثانية، واستطاع بما لديه من مهارة عسكرية، وبما تحت يديه من قوات كبيرة العدد، تامة التسليح، أن ينزل قواته بشمال إفريقيا للقضاء على قوات المحور (ألمانيا وإيطاليا)، وتطهير شمال إفريقيا منها، توطئة لنزول قواته في أوربا.

وبعد أن تم تطهير شمال إفريقيا، نزل بقوات الحلفاء في شاطئ فرنسا الشمالي، وأخذ يكيل الضربات القاسمة للقوات النازية، محرراً الدول الأوربية الواحدة تلو الأخرى، وتم له القضاء التام على القوات الإيطالية أولاً، ثم القوات الالمانية بعد ذلك.

وقد هيأ له نجاحه الكبير في ميدان الحرب الوصول إلى مقعد رئاسة الجمهورية الأمريكية، وأن يواجه تصفية مشكلات ما بعد الحرب، وأهمها الحرب الباردة التي أعلنها الاتحاد السوفييتي على المعسكر الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية.

فإيزنهاور إذاً بحكم كونه قد جمع بين الحرب، والسياسة، وبحكم خلقه العسكري المتين، جاءت كتاباته عن الفترة التي عاصرها كقائد لقوات الحلفاء أو كرئيس لجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية على درجة كبيرة من الأهمية، وتمثل وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية - بل وجهة نظر الحلفاء في أعظم حرب خاضتها البشرية إلى اليوم. . . وجهة نظرها في السياسة والاقتصاد، وفي مواجهة خطر الاتحاد السوفييتي الذي كان يهدد دول غرب أوربا تهديداً خطيراً، لاسيما في الفترة التي أعقبت الحرب مباشرة، حينما كان عبء حماية تلك الدول وبنائها يقع كلية على عائق الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ميدان الحرب أيضاً نجد مذكرات مونتجومري القائد الإنجليزي وبطل العلمين. كان مونتجومري قائداً للقوات المتحالفة في شمال أفريقيا، وكانت مهمته صعبة وخطيرة، إذ كان عليه أن يوقف زحف القوات الألمانية

والإيطالية تحت قيادة القائد الألماني الفذ " رومل " الذي اجتاحت قواته كل شمال أفريقيا من أقصى الغرب حتى موقع " العلمين " داخل الأراضي المصرية . ويقع هذا الموقع على بُعد ١١٠ كيلو متر غرب ميناء الإسكندرية

كان مركز القوات الإنجليزية بمصر خطيرا للغاية ، فقوات المحور تحت قيادة رومل على بعد ساعة تقريباً من الإسكندرية ، أكبر قاعدة - وقتئذ - للأسطول الإنجليزي في البحر المتوسط ، وأهم ميناء لتموين الحلفاء في الشرق الأوسط .

وكان على مونتجمري الذي ورث قيادة جيش مهزوم ، ويواجه أكفأ القيادات العسكرية الألمانية ، أن يحاول إعادة بناء جيشه ، وأن يبث الثقة بالنفس فيهم ، وأن يحاول إبعاد رومل عن مصر أولاً ثم بقية دول شمال أفريقيا بعد ذلك ، لاسيما وقد انقطعت الإمدادات العسكرية الألمانية عنه ، وأهمها البترول .

فمونتجومري في هذه المذكرات يحكي تلك التجربة بشيء من الصدق والأمانة ، بكل ما فيها من آلام ومتاعب إلى أن كللت بالنصر ، موضحاً الجهود التي بذلت ، والصعوبات التي واجهته ، والخطوات التي اتخذها وصولاً إلى هذا النصر . وقد ترجمت تلك المذكرات أيضا إلى اللغة العربية .

ويقابل هذه المذكرات (مذكرات مونتجومري) مذكرات أخرى لخصمه رومل ، فمذكرات رومل متممة ومكملة لمذكرات مونتجومري . فرومل كان قائداً عبقرياً ، له دراية تامة بحرب الصحراء ، يجيد الكر والفر ، ويجيد كيل الضربات المفاجئة لعدوه دون أن يستطيع لها دفعاً . وقد وقف

رومل طويلاً أمام العلمين دون أن يستطيع التقدم إلى الأمام انتظاراً للإمدادات العسكرية من حكومته، ولا سيما إمدادات البترول التي نجح الأسطولان الإنجليزي والأمريكي في منع وصولها من أوربا إليه عبر البحر المتوسط، في وقت لم يكن البترول قد اكتشف بعد في الجزائر أو ليبيا.

هذه التجربة التي عاناها هذا القائد الشجاع في شمال أفريقيا، وفي أوربا بعد عودته إليها، قد دونها في مذكراته التي ترجمت إلى اللغة العربية.

من مجموع المذكرات السابقة، بالإضافة إلى الوثائق يمكن كتابة تأريخ الحرب العالمية الثانية بكل دقة وأمانة.

إذا انتقلنا إلى منطقتنا العربية نجد مذكرات السلطان عبد الحميد، وهي تلقي المزيد من الضوء على فترة حكمه التي امتدت زهاء ثلاثين عاماً، وفي أحرج الفترات التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، والولايات العربية الخاضعة لها.

وفي هذه المذكرات يبين سياسته إزاء الدول الكبرى، وموقفه من اليهود ومن الصهيونية العالمية ومن أطماعها في فلسطين، وسياسته إزاء الولايات العربية. وهذه المذكرات هامة بالنسبة لتاريخ الدولة العثمانية، وبالنسبة لتاريخ الولايات العربية الخاضعة، ولفهم المسألة الشرقية، وأطماع الدول الأوربية الكبرى في ممتلكات الرجل المريض.

ومذكرات جمال باشا التركي والذي أطلق عليه العرب اسم جمال باشا السفاح نظراً لما قام به من إعدام الكثيرين من العرب لشكه في ولائهم للدولة التركية في أحرج الفترات التي كانت تمر بها الدولة خلال الحرب

العالمية الأولى، فهو بحكم منصبه كحاكم عسكري لسوريا في تلك الفترة كان عليه أن يتخلص من كل العناصر التي تنتمي للأحزاب السرية التي كانت تناهض الحكم التركي في الولايات العربية.

وكانت سوريا في ذلك الوقت - تموج بتيارات مختلفة، بعضها ينادي بالوقوف إلى جانب الأتراك لمساعدتهم حتى إذا ما انتهت الحرب بنصرهم حصلوا منهم على ما يريدون من الاستقلال الذاتي في إدارة شؤونهم الداخلية، وكان هذا هو التيار الغالب.

بينما كانت تنادي قلة ممن تلقوا ثقافتهم في أوربا بضرورة القضاء على الدولة التركية، واستبدال حكم الأتراك العثمانيين، بحكم إحدى الدول الأوربية الكبرى المتقدمة، فهي في نظرهم أقدر على منح العرب التقدم الذي يريدونه. لا شك أن هذا تفكير سقيم لا يصدر عن إدراك لطبيعة الاستعمار.

ولكن التيار الذي ساد الموقف في ذلك الوقت، هو تيار المنادين بالتحالف مع أعداء تركيا العثمانية، بشرط أن تمنحهم الاستقلال بعد نهاية الحرب.

كان جمال باشا إذاً يرى كل الخطر في أنصار الرأيين الثاني والثالث، فهم في نظره يعملون على تقويض دعائم الحكم التركي العثماني، وبالتالي إلحاق الضرر بالدولة العثمانية في هذه الفترة العصيبة من تاريخها. ومن ثم أخذ في ملاحقتهم والتنكيل بهم أينما وجدوا، فالأمر بالنسبة له جد خطير ولا يحتمل التهاون في وقت يتقرر فيه مصير بلاده في ميدان القتال، لاسيما بعد أن عجز في جذب الزعماء العرب إليه.

فمذكرات جمال باشا تحكي تاريخ تلك الفترة من وجهة النظر التركية العثمانية، وهي تغاير دون شك وجهة النظر العربية. وفيها يبرر ما ارتكبه من أعمال، وما قام به من إنجازات. فمذكراته - وإن كانت تحمل على العرب حملة ضاربة - إلا أنها تصور موقف الأتراك، وما كانوا يعانونه من متاعب خلال فترة الحرب والسنوات السابقة عليها واللاحقة لها، وقد نشرت تلك المذكرات مترجمة إلى اللغة العربية.

ومن مذكرات الزعماء العرب أيضاً، مذكرات محمد فريد زعيم الحزب الوطني في مصر، وخليفة مصطفى كامل. قاوم الاحتلال الإنجليزي لمصر مقاومة شديدة، وأنفق كل ثروته - وكان من الأثرياء - في هذا السبيل، وأبعد عن مصر قبيل قيام الحرب العالمية الأولى، وظل يطوف البلدان الأوربية داعياً لقضية بلاده، إلى أن استقر به المقام في ألمانيا، يعاني من العوز والمرض، إلى أن مات بعيداً عن وطنه مصر.

فهذه المذكرات تحكي أحداث مصر في ظل الاحتلال البريطاني منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى قرب وفاته بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بفترة وجيزة. وفيها يسرد الأوضاع السياسية في مصر في ظل الحكم الإنجليزي الذي اتسم بالشدة والعنف في بدايته، عندما كان كل هم بريطانيا توطيد سلطانها في مصر بمختلف السبل، بالقهر والبطش حيناً، والدهاء حيناً آخر.

وفي ظل سيطرة المعتمد البريطاني في مصر " اڤلن بيرنج " (اللورد كرومر فيما بعد) سارت الأمور وفق مشيئة بريطانيا. فقد شغل هذا الرجل منصبه هذا ربع قرن من الزمان، وكان هو الملك غير المتوج لمصر، أما

خديوي مصر، فكان مجرد رمز لا حول له ولا قوة. وكانت السيادة العثمانية على مصر مجرد سيادة إسمية، وليس لها - في الحقيقة - من الأمر شيئاً.

وفي هذه الظروف البالغة القسوة، بدأ صوت مصطفى كامل يرتفع منادياً بجلاء الإنجليز عن مصر. وأصدر لهذا الغرض صحيفة اللواء لتكون لسان حاله، وكوَّن الحزب الوطني لجمع المواطنين حوله لمقاومة الحكم البريطاني الغاشم. ونجح في إعادة الأمل إلى نفوس المصريين بعد أن دب إليهم اليأس نتيجة لسياسة الشدة والبطش التي انتهجتها بريطانيا في السنوات الأولى من احتلالها لمصر كما أسلفنا.

ويوضح محمد فريد الظروف التي تولى فيها رئاسة الحزب بعد موت مصطفى كامل، ومسيرة الحركة الوطنية في ظل قيادته لتلك الحركة. ويبين أن ما قام به هو وسلفه من قبل كانت تمثل الإرهاصات الأولى لثورة عام ١٩١٩ في مصر. وقد نشرت تلك المذكرات في السنوات القليلة الماضية.

وهناك أيضا مذكرات سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ في مصر، وهي ما زالت مخطوطة إلى اليوم، وإن كان بعض المؤرخين قد نشروا منها فقرات للاستشهاد بها في معرض تناولهم ثورة ١٩١٩ بالبحث. وهذه المذكرات مودعة بدار الوثائق القومية بمصر.

وهذه المذكرات تضم بين سطورها قصة كفاح شعب مصر ضد الاحتلال الإنجليزي، وما قدمه المصريون من تضحيات، مع إلقاء الضوء

على ما قام به سعد زغلول من لقاءات ومفاوضات مع الجانب البريطاني من أجل استخلاص حق مصر في الاستقلال. وفيها توضيح للخلافات السياسية التي نشرت بينه وبين زملائه ومعارضيه في الرأي، حول الوسيلة الواجب اتخاذها لتحقيق هذا الاستقلال.

ويذكر فيها أيضاً مقابلاته مع كبار الشخصيات من الإنجليز، ونفيه إلى جزيرة مالطة، ثم اندلاع الثورة المصرية وهو بالمنفى، واضطرار بريطانيا إلى إطلاق سراحه، والسماح له بالذهاب إلى مؤتمر الصلح في فرساي ليعرض قضية مصر عليه، وغلق أبواب المؤتمر في وجهه، وعدم اعتراف الدول المجتمعة بحق مصر في الاستقلال، بل والاعتراف بالحماية البريطانية عليها.

ويتعرض في تلك المذكرات لمفاوضاته مع ملز، ثم مفاوضات عدلي - ملز، والظروف التي أصدرت فيها بريطانيا تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، الذي اعترف بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة، مع تحفظات أربعة هي: حماية مصالح بريطانيا في مصر، وحماية مصر ضد أي عدوان، والمحافظة على الأقليات، والسودان.

ويذكر في هذه المذكرات أيضاً وضع دستور ١٩٢٣، وإجراء الانتخابات، وتولى أول وزارة وفدية الحكم، وتجربة هذه الوزارة التي رأسها مع القصر الملكي والإنجليز. ثم حادث مقتل " السير لي ستاك " سردار عام الجيش المصري، واستقالة الوزارة.

فالمذكرات سجل حافل بأحداث مصر حتى قيام ثورة ١٩١٩، وبنتائجها، وتجربة الحكم النيابي، ونشأة الأحزاب السياسية في مصر، فهي من هذه الناحية على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لأي باحث يتناول تاريخ مصر في تلك الفترة بالدراسة الجادة العميقة.

ويكمل مذكرات سعد زغلول، مذكرات زميله في الكفاح، والذي وقع على عاتقه إدارة عجلة الثورة في مصر (ثورة ١٩١٩) أثناء غياب سعد في المنفى، وخلال وجوده في أوربا، واستغرقت هذه الفترة عامين، ألا وهو عبد الرحمن فهمي.

كان عبد الرحمن فهمي يشغل منصب سكرتير اللجنة التنفيذية للوفد، ومن هذا المنصب استطاع توجيه الثورة، وأثارة الرعب في قلوب الإنجليز المحتلين، لاسيما وأنه كان يشرف على نشاط جمعيات الاغتيالات السياسية، هذه الجمعيات السرية التي تكونت بهدف الانتقام من كبار الشخصيات الإنجليزية الحاكمة لمصر، وإنزال الضربات الشديدة بهم، جزاء سياستهم التعسفية، وما اقترفوه من قتل الأبرياء من المصريين.

فهذه المذكرات - وإن كانت لا تتعرض لهذا الجانب من النشاط السري المنظم ضد رجالات بريطانيا في مصر، إلا أنها تؤرخ للثورة المصرية يوماً بيوم، من واقع التقارير اليومية التي كانت تفد إليه من كل أنحاء البلاد متضمنة نشاط الثوار، وما قاموا به من أعمال.

وكتابات عبد الرحمن فهمي تتفق تماماً مع التقارير السرية التي كانت

ترسلها السلطات البريطانية في مصر إلى وزارة الخارجية البريطانية والتي نشر بعضها في السنوات الأخيرة، عن نشاط الثورة في مصر. وهذا يدل على مدى دقة عبد الرحمن فهمي وأمانته في تدوين هذه المذكرات التي لم تنشر بعد.

وهناك العديد من المذكرات المنشورة، مثل مذكرات عبد الرحمن الرافعي، تحت عنوان مذكراتي، ومذكرات أحمد شفيق باشا تحت عنوان: مذكراتي في نصف قرن. ومذكرات الأديب الدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين في مصر، ومؤلف كتابي " محمد " ، " في منزل الوحي " وتسمى "مذكرات في السياسة المصرية " نشرت في جزأين، وصدر أخيراً جزء ثالث، ولكنه ليس في قوة الجزأين الأولين. وغيرها كثير قصدت من ذكرها إلقاء لمحة سريعة وعابرة على أهمية المذكرات التاريخية، موضحاً نقط القوة ونقط الضعف فيها، وذلك ليكون الباحث على بينة من أمره عند تناوله تلك المذكرات.

وكما ذكرت فإنني لم أتعرض لكل ما كتب من مذكرات، وإلا ضاق المقام عن ذكرها، ولكنني سقت فقط نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر، فهناك مذكرات طه الهاشمي عن العراق فيما بين عامي ١٩١٩و ١٩٤٣، ومذكرات الملك عبد الله بن الحسين، ومذكرات محمد مهدي كبه عن العراق ايضاً تحت عنوان: مذكراتي في صميم الأحداث ١٨ - ١٩٥٨. وغيرها ومذكرات علي جودت وتوفيق السويدي وناجي شوكت وكلهم من الساسة العراقيين في فترة ما بين العشرينيات والخمسينيات.

٢ - ١ المخطوطات Monuscript

تتفاوت أهمية المخطوطات من مخطوطة لأخرى وفق ما تتضمنه المخطوطة من معلومات صحيحة ودقيقة، وبما التزم به كاتبها من الامانة والدقة والحيدة في تناول موضوعاته، ومعاصرة كاتبها للأحداث أو بعده عنها، ومشاهدته لها أم سماعه بها.

كل هذه المقاييس وغيرها هي المعول الأساسي للتقويم. ومما لا شك فيه أن كثيراً من تلك المخطوطات قد فُقد، ولا نعرف عنها إلا أسماءها من كتب التراث التي بقيت لنا، حيث يشير بعضها إلى تلك المخطوطات أو ينقل عنها بعض الفقرات على سبيل الاستشهاد. ويجهد العلماء أنفسهم بحثاً عنها في حنايا المكتبات القديمة، فبعضهم يوفق في العثور على بعضها أو أجزاء منها، فيعكف على دراسته وتحقيقه، ثم نشره النشر العلمي المطلوب.

وتحرص جامعات العالم ومكتباتها على اقتناء تلك المخطوطات بأي ثمن، ومهما كلفها هذا من جهد ومال. ويقوم تجار الكتب القديمة، والمخطوطات بتهريبها من الدول العربية والإسلامية الى الدول الأجنبية، حيث يبيعونها بأغلى الأثمان.

والمخطوطات التي تتعلق بالتاريخ الحديث قليلة في العدد كثيراً عن مثيلاتها في التاريخ الإسلامي والتاريخ الوسيط، وذلك لانتشار الطباعة وتوافرها في العصر الحديث. بينما نجد أن نشر الكتب في العصر الوسيط قد اعتمد كلية على النسخ، وذلك لأن الطباعة لم تكن معروفة في ذلك الوقت.

وقد نتساءل عن سبب وجود مخطوطات في التاريخ الحديث، مع ما سبق أن ذكرنا من توافر المطابع، وسهولة الطبع. يمكن أن نرجع ذلك إلى الأسباب التالية:

أولاً: خشية المؤلف من نشرها لما تتضمنه من معلومات قد تسيء الى نظام الحكم القائم وقتذاك، وبناء على ذلك تظل المخطوطه حبيسة لدى مؤلفها، إلى أن ينتقل إلى جوار ربه، فتدخل المخطوطة في زوايا النسيان، إلى أن يعثر عليها أحد الباحثين فيقوم بدراستها وتحقيقها ونشرها، إذا كانت الظروف التي حالت دون النشر قد تغيرت.

ثانيـــاً: أن يكون كاتب المخطوطة من سكان البوادي، أو ممن يعيشون بعيداً عن الحضر، حيث لا تتوافر وسائل الطبع، فتظل المخطوطة لديه، يتوارثها أبناؤه من بعده، إلى أن ترى النور على يد أحد أبنائه من المهتمين بالعلم، أو على يد أحد الباحثين.

ثالثـــاً: ترى بعض الأسر الاحتفاظ بما لديها من مخطوطات، وعدم التفريط فيها. أو السماح لأحد بالاطلاع عليها أو مجرد رؤيتها. وفي بعض الأحيان قد يسمح له قراءتها، ولكن يحرم عليه نقلها. ويظل الوضع على هذا النحو الى أن تتغير الظروف.

رابعـــاً: قد يرث الأبناء مكتبة أبيهم، ويحتفظون بها على سبيل الذكرى، دون أن يحاولوا معرفة محتوياتها من كتب ومخطوطات لا لشيء إلا لعدم اهتمامهم بالقراءة والاطلاع، أو لبعد تخصصاتهم -

ومن ثم تظل تلك المخطوطات مجهولة لا يعرف الباحثون عنها شيئاً، إلى أن تباع أو أن تهدى لأحد المكتبات.

دراسة المخطوطات

تستلزم دراسة المخطوطات وتحقيقها ونشرها من الباحث الإلمام ببعض الأمور الهامة التي تساعده على القيام بهذا العمل الشاق، على أسس علمية سليمة.

من أولاها معرفة الخط الذي كتبت به المخطوطة، هل هو خط المؤلف أم خط ناسخ؟ واذا كانت بخط يد المؤلف، فهل هي النسخة الأولى التي كتبها المؤلف أم نسخة منقولة عن النسخة الأولى وبخط المؤلف أيضا؟ وعما إذا كانت النسخة المنقولة بيد المؤلف تطابق النسخة الأصلية تمام المطابقة، أم أن بها أخطاء ارتكبها المؤلف أثناء عملية النقل؟ وهذا أمر متوقع ويحدث كثيراً. أم أن النسخة المنقولة بيد المؤلف عن النسخة الأصلية بها تعديلات وإضافات؟ ونحن لا نستبعد حدوث هذا التعديل والتغيير، والحذف والإضافة، لأننا - غالباً - إذا ما أعدنا طبعة كتاب للمرة الثانية أو الثالثة عدلنا أشياء وأضفنا أشياء أخرى، ولكننا في الطباعة نكتب على غلاف الكتاب رقم الطبعة، مع إضافة عبارة " طبعة منقحة ومزيدة " . ولكن بالنسبة للمخطوطة فالمؤلف لا يذكر ذلك عادة.

وبناء عليه قد نجد عدة نسخ من مخطوطة واحدة كتبت جميعها بخط المؤلف، ولكن ببعضها زيادة أو نقص، فإذا تحقق لنا ذلك أدركنا أن هذه الاختلافات أو الفروق لم توجد نتيجة الخطأ في الكتابة، وإنما جاءت نتيجة

التعديلات التي رأى المؤلف إدخالها على مخطوطته استدراكاً لبعض الحقائق، أو تجنباً للنقد الذي وجه إليه في النسخة الأصلية.

وتواجهنا حالات ثلاثة عندما تبدأ بتحقيق مخطوطة ما، وهي:

الحالة الأولى:

أن يكون بين يدي الباحث النسخة الأصلية من المخطوطة والمكتوبة بخط يد المؤلف، ويمكن التأكد من ذلك بوجود العبارة التي تثبت بأن كاتب المخطوطة هو مؤلفها. أما إذا لم توجد تلك العبارة، فيمكن التأكد من أنها كتبت بخط المؤلف، وذلك عن طريق مطابقة خط هذه المخطوطة بما كتبه المؤلف من مخطوطات أخرى إن وجدت. وكذلك عن طريق دراسة أسلوبه وخطه ونوع الورق، والحبر المستخدم.

وإذا ما تأكدنا من صحة تلك الأشياء، نبدأ في دراسة المخطوطة، وما تشتمل عليه من معلومات، ومدى صحتها، ومبلغ دقة المؤلف في سرد الأخبار مع مراعاة الخطوات التالية.

(أ) إبقاء الأصل الأول بحالته التي وجد عليها، أي نشره بكل ما به من أخطاء لغوية، ونحوية، تحقيقاً للأمانة العلمية. مع تصويب تلك الأخطاء في الهامش.

(ب) إن وجوب المحافظة على النص التاريخي بأسلوبه ولفظه فضلاً عن كونه أمانة علمية فهو يساعد الباحث على تفهم روح العصر، وأسلوبه، وطريقة التعبير المستخدمة فيه، وتطور اللغة والمصطلحات في ذلك العصر.

(جـ) وجوب شرح العبارات الغريبة، والكلمات المستغلقة، والأمثلة الدارجة، التي تكتب باللهجة المحلية في الهامش، تحقيقاً للفائدة.

(د) التعليق على أي رأي ورد في نص المخطوطة، يرى الباحث ضرورته، وهذا أيضا في الهامش.

(هـ) إذا وجدنا فراغاً في سطور المخطوطة، كنقص كلمة أو عبارة، فيجب أن يجتهد الباحث في معرفة هذا النقص من المخطوطات أو الكتب المعاصرة التي تناولت هذا النوع. على أن يدون اجتهاده هذا في الهامش، ويشير في الوقت نفسه إلى وجود هذا الفراغ في الأصل.

الحالة الثانية:

وهي التي تكون فيها النسخة الأصلية للمخطوطة مفقودة، وأن النسخة التي بيد الباحث نسخة وحيدة، منقولة عن الأصل المفقود. في هذه الحالة لا يستطيع الباحث أن يجد نسخة أخرى يمكن مطابقتها بها، ومن ثم وجب عليه أن يثبت من ألفاظ هذه النسخة، ومن عباراتها، لأن الناسخ مهما كانت مقدرته ودقته، فهو معرض للخطأ في النقل، فمن المحتمل أن يسقط منه لفظ أو عبارة، ومن المحتمل أيضاً أن يقرأ لفظاً قراءة مختلفة فينقله خطأ، وربما يحاول إبدال لفظ بآخر ظناً منه أن كاتب النص الأصلي قد أخطأ في الكتابة، وعليه أن يصححه كما يبدو له.

ويمكن للباحث أن يكتشف الخطأ في بعض الحالات السهلة، كتلك التي تسقط فيها كلمة فيضطرب بذلك المعنى، أو وضع بعض نقط الحروف في كلمة ما في غير مواضعها. ولكن لا يستطيع الباحث مطلقاً أن يكتشف الخطأ إذا ما سقطت من الناسخ فقرة بأكملها، لا سيما إذا كانت هذه الفقرة

تشتمل على معنى قائماً بذاته، ولا يرتبط بالفترة السابقة. وإذا قدر له أن يكتشفها فلن يقدر بحال من الأحوال أن يستعيض عنها بفقرة أخرى.

وبناء عليه فعلى الباحث في هذه الحال أن يدرس النسخة المنقولة، وأن يتصرف على خصائصها، وألفاظها، وعباراتها، ومصطلحاتها، وما ورد بها من معلومات، ومحاولة مقارنتها بما كتبه الكتاب المعاصرون الموثوق بهم، وذلك للتأكد من صحة ما تضمنته من مادة علمية.

ويجب أن يدرك الباحث أن ما يوجه لهذه النسخة من نقد إنما ينصب على هذه النسخة وحدها، دون أن ينسحب ذلك على النسخة الأصلية المجهولة، والتي لا يعرف عنها شيئاً، والتي ربما تتفق أو تختلف مع النسخة المنقولة كثيراً أو قليلاً.

والحالة الثالثة:

هي أن يكون بين يدي الباحث عدة نسخ منقولة تتفاوت في الاختلاف أو التشابه عن أصل أول مفقود، وفي هذه الحالة يحاول الباحث أن يقوم بدراسة مقارنة لهذه النسخ لتحديد أقربها إلى النص الأول المفقود، وذلك عن طريق دراسة لغة المؤلف، وفهم روحه في الكتابة، وروح العصر الذي كان يعيش فيه.

وكلما كثر عدد النسخ المنقولة كلما أصبحت المشكلة أكثر صعوبة أمام الباحث، وعليه في هذه الحالة أن يقسمها إلى مجموعات طبقاً للتشابه أو الاختلاف فيما بينها. فعلى سبيل المثال، إذا كان لدينا عشر نسخ منقولة، ثماني نسخ تتشابه فيما بينها في اللفظ والعبارة، واثنتان تختلفان بعض

الاختلاف، نطلق على الثماني نسخ المتشابهة المجموعة (أ)، وعلى النسختين المجموعة (ب).

فإذا تناولنا المجموعة (أ) بالدراسة نجد أن تشابهها جميعاً يعني أنها قد نقلت عن نسخة واحدة - وقد تكون النسخة الأصلية أو نسخة منقولة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب أن يدرك الباحث أن تشابه الغالبية لا يعني بالضرورة أنها الصحيحة، لأنها قد تكون جميعها قد نقلت عن نسخة منقولة لها أخطاء.

ثم ينتقل إلى المجموعة (ب) لمعرفة أي المجموعتين أقرب الى النص الأصلي المفقود، حتى إذا ما استقر رأيه على النسخة الأقرب إلى الأصل، بدأ في دراستها وتحقيقها. ولكنه يجب - في الوقت نفسه - الإشارة في الهامش إلى مواضع الاختلاف في النصوص بين هذه النسخة والنسخ الأخرى.

ويجب أن نعرف أن النسخة المنقولة مهما بذل في تحقيقها من عناية، فهي - دون شك - أقل في القيمة العلمية من الأصل المفقودة. ولكن النشر العلمي لا يجب أن يتوقف عندما نفقد الأصل الأول، انتظاراً للعثور عليه. بل يجب الاستفادة من النسخ المنقولة مهما كان قربها أو بعدها عن النص الأول المفقود.

وعلى الباحث أن يعرف أن كثيراً من المخطوطات قد نشرت دون تحقيق ودراسة علمية سليمة، رغم ما يكتب على الغلاف من أنها محققة. ومن ثم يجب أن تنشر هذه المخطوطات من جديد نشراً علمياً محققاً.

ومهما يكن من شيء فإن نشر المخطوطات هو إضافة مادة جديدة لم تكن معروفة، أو كانت معروفة وتأكدت بصورة أخرى.

وكما سبق أن ذكرت فإن كل جامعات العالم ومكتباتها تتسابق للحصول على أكبر قدر من تلك المخطوطات، ومخطوطاتنا العربية منتشرة في كل أجزاء العالم، فهناك مخطوطات في كثير من جامعاتها مثل: جامعة أكسفورد، وكمبردج، ودرهام، وفي المتحف البريطاني، كذلك توجد مخطوطات عربية بجامعة السوربون بفرنسا، وبالمكتبة الأهلية بباريس، وبمكتبة الاسكوريال بأسبانيا، وكذلك ببعض الجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية، وبالاتحاد السوفيتي (الاتحاد الروسي حاليا)، وبجامعة لاهور بالهند. وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

ومن الجهود المشكورة التي قام بها معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية، تصوير معظم المخطوطات العربية الموجودة بمختلف مكتبات وجامعات العالم على أشرطة (ميكروفلم)، وعلى فوتوستات (لوحات) خدمة للباحثين.

هذا فضلاً عن قيام المعهد بتزويد الباحثين بنسخ من هذه الأشرطة واللوحات بأثمان زهيدة، وذلك ليتيح لهم فرصة نشر هذا التراث نشراً علمياً محققاً.

وبالمملكة العربية السعودية توجد الكثير من المخطوطات المحفوظة في مكتبات متعددة، منها ما هو موجود بمكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة، وكذلك بمكتبة الحرم المدني، وبمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت المجاورة للمسجد النبوي بالمدينة المنورة.

كذلك اهتمت شركة أرامكوا بجمع الكثير من المخطوطات التي تتناول شؤون الجزيرة العربية بمكتبتها المركزية بمدينة الظهران، وقامت كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتصوير جانب كبير مما تحويه المكتبة من مخطوطات، ووثائق، وتقارير، وصور خاصة بالنقود العربية والإسلامية والبحوث، والرحلات الأجنبية، والكتب النادرة. وقامت بعمل سجل بكل ذلك، موضحاً فيه اسم المؤلف، وعنوان الكتاب، وموضوعه، ورقم الكتاب في فهرس المكتبة، واللغة التي كتب بها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المخطوطات التالية:

بالإضافة الى ما قامت بتصويره من مكتبات إنجلترا

- ابو إسحق إبراهيم بن قيس (مخطوطة في الفقه الإباضي) منقولة عن المتحف البريطاني بلندن.
- درويش بن جمعة المحروقي الأدمي: الدلايل على اللوازم والوسائل منقولة عن المتحف البريطاني بلندن.
- حميد بن محمد بن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين محررة عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م مكتبة جامعة كمبردج.
- محمد بن سعيد الأزدي القلاني: الكشف والبيان، محررة في عام ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م. المتحفي البريطاني بلندن.
- محمد المغربي التونسي: العجالة الوجيزة في الرد على الوهابي وجماعته الوهابية. محررة عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١٠م مكتبة جامعة كمبردج.

- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، مجهولة المؤلف. حررت عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م. المتحف البريطاني بلندن، وقام بتحقيقها ونشرها الدكتور أحمد محمد أبو حاكمة، بيروت ١٩٦٧.
- الرد على الوهابية، مجهول المؤلف. حررت سنة ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م بمكتبة كمبردج.

كذلك نجد الكثير من المخطوطات بمكتبة جامعة القاهرة، وبمكتبة الأزهر وبدار الكتب المصرية. وبغيرها من المساجد المصرية القديمة، المنتشرة في ربوع مصر.

وبالإضافة الى سجل المخطوطات الموجودة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، فإن معظم الهيئات العلمية الأوربية تحتفظ بسجل لديها بكل المخطوطات الموجودة في مكتبات العالم، مع بيان أماكنها وأرقامها. ويستطيع أي باحث اذا ما أراد أن يعرف أي معلومات عن مخطوط معين، فما عليه إلا أن يتصل كتابة بالمتحف البريطاني في لندن أو بالمكتبة الوطنية بباريس لتوافيه بكل ما تعرفه عنه. وعما إذا كان موجوداً أم مفقوداً، ومكان وجوده ورقمه، سواء ما إذا كانت تملكه أو في حوزة هيئة علمية أخرى، وبذلك يسهل على الباحث - دون الانتقال - أن يعرف مكان المخطوط الذي يريده، فيتجه إليه رأساً لمحاولة الحصول على نسخة مصورة منه.

ويجب أن أشير في هذا المقام أن مكتبة كلية العلوم الاجتماعية، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قد حصلت على صور لحوالي

ثلاثة وعشرين مؤلفاً منها مخطوطات، ووثائق وتقارير، وصور خاصة بالنقود العربية والإسلامية من المكتبة المركزية لشركة أرامكو بالظهران.

كما قامت أيضاً بتصوير أعداد كبيرة من الوثائق البريطانية المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية، وكذلك العديد من المخطوطات الموجودة بمكتبات وجامعات بريطانيا. ولكي تعين الباحث على الإفادة من تلك الوثائق المصورة زودت معمل قسم التاريخ بجاز خاص بقراءة الوثائق ويسمى Mi-crofilm Reader ، ومزود بجهاز لتصوير الوثائق المراد دراستها.

كذلك تقوم عمادة شؤون المكتبات بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بتزويد المكتبة المركزية بكل ما يحتاج إليه الباحث من كتب ودوريات ومخطوطات، وأنشأت قسماً للمخطوطات والمصورات، زودته بالأجهزة القارئة، والقارئة الطابعة. وهذا القسم يضم قرابة ألفي مخطوطة، وألف مكروفيلم يجرى حالياً حصرها وفهرستها. وتصنيفها لتكون في متناول الباحثين والمحققين. هذا فضلاً عن مكتبة صوتية.

وهناك أيضا العديد من المخطوطات الأصلية والمصورة، والميكروفلم بدارة الملك عبد العزيز، ويمكن للباحثين والدارسين الاطلاع عليها ودراستها.

٤ - كتابات وأشعار المعاصرين وشهود العيان:

لا شك أن لكتابت الكتاب المعاصرين، وشهود العيان بصفة خاصة، قيمة علمية كبيرة، فشاهد العيان الذي دوَّن أحداث عصره وقت حدوثها

أولاً بأول، يعطينا من التفاصيل ما لا يستطع غيره، فهو يصفها بكل دقة، بما فيها أمور هامة وأخرى تافهة؛ لأنه ينفعل بتلك الأحداث، ويبين مدى وقعها على الناس، ومدى تأثرهم بها. فهو بهذا التصوير الدقيق يجعلك تعيش في هذا العصر، وتشعر بشعور أهله، وتحكم الحكم الصحيح عليه. وهذا كله مهم للباحث. ولكنه - في الوقت نفسه - لا يصور لك الحادثة بعينها، وإنما يصور انفعالاته بها، فهو إذًا تصوير شخصي يختلف من إنسان لآخر.

وقد تتضمن كتابات شاهد العيان معلومات شاهدها بنفسه، وأخرى سمعها ونقلها عن غيره. وهنا يجب على الباحث أن يفرق بينهما بقدر استطاعته، لأن المعلومات التي دونها عن مشاهدة تعتبر أصلاً من الدرجة الأولى، بينما تعد الثانية مصدراً من الدرجة الثانية.

مثال ذلك: فالمؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي الذي أرخ للحملة الفرنسية على مصر، ضمن كتابه " عجائب الآثار في التراجم والأخبار "، عندما يتعرض للثورات التي قامت في المدن المصرية ضد الحكم الفرنسي، نجده يعطينا تفصيلات دقية عما حدث في مدينة القاهرة، لأنه كان يقيم فيها. أما إذا ما تعرض لصدى ثورة القاهرة في المدن الأخرى فإنه لا يعطينا تفصيلات كاملة عنها، لأنه لم يغادر القاهرة، ولم يشاهد تلك الأحداث بنفسه، وإنما نقلها عن غيره رغم معاصرته لها، ومن ثم فمعلوماته عن ثورة القاهرة تعتبر مصدراً من الدرجة الأولى، أما الثانية فهي مصدر من الدرجة الثانية، مع أن كاتبها واحد، ودونها وقت حدوثها.

وكثير من شهود العيان تتناول كتاباتهم هذين النوعين؛ لأنهم عادة يمهدون للفترة التي شاهدوها بمقدمة عن الفترة السابقة لها، والتي لم يشاهدوها أو يعاصروها، وفي هذه المقدمة أو التمهيد يعتمدون على ما دونه الكتاب السابقون أو على ما سمعوه منهم.

ومن الكتاب الذين أرخوا للفترة التي عاشوها وشاهدوا أحداثها، ورأوها مرأى العين ابن إياس صاحب كتاب " بدائع الزهور في وقائع الدهور " فقد عاصر الغزو العثماني للشام، وصاحب الحملة في تقدمها نحو مصر، ودون أحداث الغزو العثماني للشام ومصر في شيء من التفصيل. بل أنه زودنا بتفصيلات اللقاءات التي تمت بين السلطان سليم الأول، وطومان باي، وما دار بينهما من حديث بعد أن استقر الأمر للعثمانيين في مصر. ثم أوضح النظم التي وضعها السلطان سليم الأول لحكم الشام ومصر، وكذلك زيارة السلطان سليم لمعالم القاهرة، وبعض المدن المصرية، وعودته إلى الآستانة بعد أن اصطحب معه أمهر الصناع في مصر في مختلف الحرف.

فابن إياس إذاً في كتابه هذا يعتبر أصلاً من الدرجة الأولى للفتح العثماني للشام، ومصر ومطلع العهد العثماني بهما.

من الكتاب الأجانب الذين كتوا ما شاهدوه المستر بلنت Blent الانجليزي الذي شاهد الاحتلال الإنجليزي لمصر، وهو وإن كان يعطف في هذا الكتاب على أحمد عرابي قائد الثورة العرابية، إلا أن كتاباته تمثل وجهة النظر البريطانية.

ومن أمثلة الكتاب العرب الذين شاهدوا أحداث عصرهم وكتبوا عنها المجاهد المغربي علال الفاسي الذي أسهم في حركة استقلال المغرب، وكتب كتابه: " الحركات الاستقلالية في المغرب العربي " ، " المغرب العربي " ويشاركه في هذا المضمار الدكتور الحبيب ثامر، وهو من المجاهدين التونسيين، وقد كتب الأحداث التي عاصرها وشاهدها في كتابه " هذه تونس " .

هذه الأمثلة وغيرها سقناها لبيان ما لكتابات شهود العيان من قيمة تاريخية كبيرة، وتعد - كما أسلفنا - من أصول الدرجة الأولى.

قال نصر بن سيار والي خراسان في أيام عبد الرحمن بن محمد آخر خلفاء بني أمية موجهاً شعره للخليفة:

ومن المصادر التي نستقي منها مادتنا التاريخية الشعر، سواء كان شعرا عربيا فصيحا أو شعرا عامياً. أو كما يطلق الناس عليه شعراً نبطياً. فالشعر

أرى بين الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون له ضرام
لئلا يطفها عقلاء قوم ... فإن وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

مرآة عصره، والشاعر يصور في قصيدته أحداث عصره، ومشاعر قومه إزاء تلك الأحداث. ولنضرب لذلك مثلاً بأمير الشعراء أحمد شوقي الذي سجل شعره أهم وقائع عصره على المستوى الإسلامي، والمستوى العربي، والمستوى الوطني.

فعلى المستوى الإسلامي نجد أن إلغاء الخلافة العثمانية على يد

مصطفى كمال أتا تورك عقب انتصاره على قوات أعداء البلاد في عام ١٩٢٣م قد هز مشاعر المسلمين هزاً عنيفاً في كل أرجاء المعمورة، فنظم قصيدة يصور فيها فجيعة المسلمين في هذا الخطب الجلل، يقول فيها:

عادت أغاني العُرس رجْعَ نُوَاحِ ... ونُعيت بين معالم الأفراحِ
كُفِّنْت في ليل الزفاف بثوبه ... ودفَنت عند تبلُّج الإصباحِ
شيِّعت من هَلَع بعَبْرة ضاحك ... في كل ناحية وسَكرة صاحِ
ضَجَّتْ عليك مآذن ومنابرٌ ... وبكت عليك ممالكٌ، ونَواحِ
الهندُ وَالهةٌ، ومصر حَزينةٌ ... تبكي عليك بمَدْمَعٍ سَحَّاحِ
والشام تَسأل، والعراق، وفارسٌ ... أمحا من الأرض الخلافةَ ماحِ

وعندما تعرض حجاج بين الله الحرام لسوء معاملة شريف مكة لهم، رفع أحمد شوقي في ١٤ أبريل ١٩٠٤ قصيدة إلى السلطان عبد الحميد يشكو له ما فعله شريف مكة وأعوانه ويستصرخه ليضع لهذا الأمر يقول فيها:

حجَّ الحجازُ وحجَّ البيتُ والحرمُ ... واستصرخت ربها في مكة الأممُ
قد مسها في جمال الضُّر فاقض لها ... خليفة الله أنت السيدُ الحكمُ
لك الربوعُ التي ريعَ الحجيجُ بها ... أ للشريف عليها أم لك العلمُ؟
أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا ... إن أنت لم تنتقم فالله منتقمُ
أفي الضُحى - وعيونُ الجند ناظرةٌ ... تُسْبى النساءُ، ويُؤذي الأهل والحشمُ
ويُسفك الدمُ في أرض مقدسة ... وتستباح بها الأعراض والحُرمُ؟
يدُ الشريف على أيدي الولاة عَلَتْ ... ونَعلُه - دون ركن البيت - تُستَلَمُ

كان اليونانيون كثيري الثورة ضد الحكم العثماني بتحريض من الدول الكبرى المسيحية، وذلك لخلق المتاعب للدولة العثمانية حتى لا تتفرغ للإصلاح الذي تنشده. وكان شوقي مثله كمثل سائر المسلمين - يعطف على الدولة العثمانية ويتمنى لها النصر. وفي هذه القصيدة يصف المعارك العثمانية اليونانية، وقلبه وعواطفه مع الأتراك، يقول فيها:

بسيفك يعلو الحقُ والحق أغْلَبُ ... ويُنْصَرُ دينُ الله أيَّان تَضربُ
ما السيف إلا آيةُ المُلك فَي الورى ... ولا الأمرُ إلا للذي يتغلبُ
فأدب به القومَ الطُغَاة فإنه ... لَنعْمَ المربى للطغاة المؤدِّبُ
أمِنَّا الليالي أن نُراعَ بحادث ... وَ(أرمينيا) ثكلى و(حورانَ) أشْيبُ

وفي المجال العربي لم يترك حادثة ألمت بالبلاد العربية إلا وسجلها. فعندما هاجمت القوات الفرنسية دمشق بعد احتلالها عقب الحرب العالمية الأولى، أقيمت في مسرح حديقة الأزبكية بالقاهرة حفلة في يناير ١٩٢٦ لإعانة منكوبي سوريا في هذا الهجوم الغاشم. نظم قصيدة جاء فيها:

سلامٌ من صبَا (بردَي) أرَقُ ... ودَمعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دمشقُ
ومعذرة اليَراعَة والقوافي ... جلال الرُّزْء عن وصف يدقُ
وذكرىَ عن خَواطرها لقلبي ... إليك تَلَفُّتٌ أبداً وخفقُ
وبي مما رَمَتْك به الليالي ... جراحَاتٌ لها في القلب عُمقُ

وعندما استطاع الإيطاليون - بعد حرب مريرة مع المجاهد الليبي عمر المختار - أن يقبضوا عليه وأن يعدموه شنقاً في عام ١٩٣١. وقد أشيع في ذلك الوقت أن الإيطاليين قد سلكوا في إعدامه أساليب وحشية، دون

مراعاة لسنه الذي ناهز التسعين، نظم قصيدة قال فيها:

ركَـزُوا رُفَـاتَكَ في الرمـال لواءً ... يَستنهضُ الوادي صباح مساءَ
يا ويحهم ! نصبوا مَناراً منَ دمٍ ... توحي الى جيلِ الغَد البغْضَاءَ
ما ضَرَّ لو جعلوا العلاقة في غدٍ ... بينَ الشعوبَ مَوَدَةً وإخاءَ؟
جُرحٌ تصيحُ على المدى، وضحيةٌ ... تتلمَّس الحريةَ الحمراءَ

وفي المجال الوطني لم يترك شاردة أوواردة في هذا المضمار ولم يسجلها شعراً فقد كان شوقي وطنياً مخلصاً، وعندما احتل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢ أبقوا خديوي مصر توفيق في كرسي الحكم بعد أن سلبوه كل صلاحياته، وعينوا لهم أُقلن بيرنج (اللورد كرومر) معتمداً بريطانيا في مصر، يعتبر الملك غير المتوج، فلا ينفذ شيء إلا بأمره، وحكم مصر بيد من حديد فترة ربع قرن من الزمان إلى أن قامت بريطانيا بعزله بعد حادثة دنشواي. وقبل مغادرته مصر أقام له رئيس الوزراء المصري مصطفى فهمي حفل توديع في دار الأوبرا، ألقى كلمة رقيقة في وصف مناقبه، يرد عليه اللورد كرومر بكلمة أهان فيها مصر والمصريين، مما أثار نفوس المصريين، ونفس شاعرنا شوقي. فأنشد قصيدة يقول فيها:

أيامكم أم عهدُ إسماعيلا؟ ... أم أنت فرعونٌ تسوس النيلا؟
أم حاكم في أرض مصر بأمره ... لا سائلا أبداً ولا مسؤولا
ياما لكا يدق الرقاب ببأسه ... هلا اتخذت إلى القلوب سبيلا؟
ما رحلت عن البلاد تَشهَّدتً ... كأنك الداءُ العياءُ رحيلا
أو سعتنا يوم الوداع إهانةً ... أدبٌ لعمرك لا يصيب مثيلا

من هذه الأمثلة البسيطة، ترى أن الشعر مادة خصبة يمكن الاستشهاد بها في كتابة التاريخ.

أما الشعر النبطي، وهو شعر لا يتقيد عادة بقواعد الإعراب ولا ببحور الشعر المعروفة، ويسمى بالشعر العامي أو الشعبي، وفي مصر يطلق عليه اسم الزجل. وإذا نظر الى أوضاع الجزيرة العربية قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نجد أن المناطق التي استحوذت على اهتمام الكتاب والمؤرخين، وكان لهاحظ وافر من المصادر التاريخية المدونة بالحجاز لما له من مكانة خاصة لدى المسلمين، واليمن لما ظهر فيها من علماء اهتموا بتدوين تاريخ بلادهم، أما نجد فلم تحظ بمثل تلك العناية لظروفها الخاصة، ومن هنا وجدنا الشح في مصادرها عن تلك الفترة.

ولذا كان على المؤرخ الذي يتعرض لتاريخ نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يتلمس طريقة وسط هذا الظلام، جامعاً ما ورد لبعض المصادر من إشارات عابرة لا تعطي اتصالاً تاريخياً يوضح الرؤية أمام الباحث، ومحاولاً الاستعانة بكل الوسائل الممكنة لسد هذا النقص. وقد وجد المؤرخون في الشعر النبطي ضالتهم المنشودة.

عرف هذا الشعر منذ القرن السابع الهجري، وظلت تتوارثه الأجيال جيلاً بعد آخر حتى يومنا هذا، وأغلبه محفوظ عن طريق الرواية، وأقله مدون. ولكن منذ أواخر القرن الماضي بدأ الاهتمام بنسخه وتدوينه، ومن أشهر دارسيه عبد الله بن خميس.

والشعر النبطي لأبناء نجد يصور حياتهم أصدق تصوير، تلك الحياة

التي ظلت محافظة على طابعها قروناً طويلة، وذلك لبعد نجد عن المؤثرات الخارجية. بحيث يمكننا القول أن مثل الناس وعاداتهم وأخلاقهم العربية الأصيلة ظلت كما هي - بحسناتها وسيئاتها - منذ العصور القديمة. ومن أشهر شعراء النبط الذين صوروا في شعرهم القوي المعاصرة لهم، والصراعات القائمة بينها راشد الخلاوي حيث يصف لنا منيع بن سالم صاحب الأحساء وما حولها بعد أن أحاط به الأعداء وقد نصحه راشد الخلاوي بضربهم فيقول:

قد قلت له قول قديم به الدوا ... ويكفي منبع لو تبعني وحاط به
اسق اللدان وخضب البيض منهم ... ومن جاك منهم صاحب لا تصاحبه
وحريب جدك لو ضفا ما يودك ... وعيناه لو تبكي لك الدم كاذبه

كان لأجود بن زامل نفوذ على بعض مناطق نجد، ودولته تسمى الدولة الجبرية، ومن أمرائها مقرن الذي قال فيه الكليف:

تل العشيرة مقرن زاكي الوفا ... حمال من جل الخطوب اثقالها
قد شاق بالأنمام مالا يرتضى ... بالدار واقفى زاهد بأعمالها

ونجد أيضا في شعر حميدان الشويعر وصفاً دقيقاً للحياة الاجتماعية في عصره وقبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لاسيما الجوانب غير المشرقة منها، وشعره مليء بالتحذيرات من تلك الأفعال الشائنة فيقول:

ياصبي استمع لمن عويد قضى ... الدهر مد به لين ما قصري
لا تضم الذي ما تعرف السوا ... تجعل الزين شين ولا تشتري

يدن العصر والعيش فوق الرحى القدر موضح واللين صخورى
ولا تضم الذي ما تمل الرديف تسرى الليل للي لها يحترى
الوعد مثل ما قال كحي وأكح في قيام العشروان ظهرت اظهرى
واقعدي عندنا لين هم يظهرون واظهري والمطوع بهم يوترى

من هذه النماذج التي أوردناها يتبين لنا أن الشعر النبطي مليء بأحداث نجد، ولاسيما الفترات التي سكتت عن ذكرها المصادر الأصلية.

٥ - كتابات المؤرخين المحدثين

دوَّن الكتاب والمؤرخون المحدثون كماً هائلاً من الكتب في شتى الموضوعات التاريخية في العصر الحديث، وبمختلف لغات العالم. ولن نستطيع - بطبيعة الحال أن نأتي بأمثلة لكثرتها ولشعبها. ولكنني أقصد بكتابات المؤرخين المحدثين، تلك الكتابات التي راعت منهج البحث التاريخي السليم، والتي اعتمدت على أصول موثوق بها، بعد نقد وتحليل، وإعمال للفكر والعقل.

ومن ثم فنحن نقصد الكتب التاريخية التي اعتمدت على الأصول الأولى في استقاء مادتها التاريخية، والتي تتوافر في كاتبها ما هو مطلوب توافره في المؤرخ من صفات، وتمتاز بالدراسة الجادة العميقة، وليست لها الصفة التجارية التي تدفع كاتبها إلى التعجل في إخراجها، تحقيقاً لكسب مادي، أو لكي تصدر في مناسبة معينة تحقق ما يرجوه من ربح وفير.

والحقيقة أن كل الكتابات التاريخية الحديثة تقريباً - ولاسيما تلك

المتعلقة بتاريخ البلدان العربية والإسلامية - من وضع الكتاب والمؤرخين الأجانب، واستمر هذا حتى العشرينات من القرن العشرين.

ولم يستطع تاريخ تلك البلدان أن يتحرر من احتكار الكتاب الأجانب إلا بعد أن تخرج جيل جديد من المؤرخين العرب والمسلمين، الذين أخذوا على عاتقهم ترجمة بعض المؤلفات الأجنبية المفيدة - كخطوة أولى - إلى اللغة العربية، حتى يتمكن الطالب العربي الذي لا يتقن اللغات الأوربية من قراءتها، والاستفادة منها.

ثم خطوا الخطوة الثانية وهي الدخول في ميدان التأليف في موضوعات تاريخية شتى، وذلك لإثراء المكتبة العربية شيئاً فشيئاً. وكلما تقدم الزمن، كلما استطاع هذا الجيل الأول من المؤرخين أن يخرِّج العديد من الباحثين الذين خطوا بإشراف هؤلاء الأساتذة على رسائلهم، حتى أصبحنا اليوم وجامعاتنا تزخر بالعديد من المؤرخين المجدين، وبالباحثين من مختلف الجنسيات.

وأهمية المؤرخين المحدثين من العرب بصفة خاصة، والمسلمين بصفة عامة، في أنهم أقدر على تناول تاريخ بلادهم من وجهة النظر العربية والإسلامية أكثر من المؤرخين الأجانب الذين تدفع بعضهم النوايا غير الطيبة إزاء العرب والمسلمين. فلا نستطيع مثلاً أن نجد كتابات منصفة من مؤرخ فرنسي يؤرخ لفترة الاحتلال الفرنسي للجزائر أو تونس أو مراكش (المغرب) إلا نادرا.

ولا يتوافر هذا أيضاً في كتابات المؤرخين الإنجليز عن فترة الاحتلال

الإنجليزي لمصر أو السودان أوالعراق أو أوغندة أو غيرها من البلدان التي خضعت للحكم الإنجليزي. مثال ذلك ما كتبه اللورد كرومر بالإنجليزية عن مصر في ظل الحكم الإنجليزي تحت عنوان Modern Egypt . ففي هذا الكتاب تمجيد لأعمال بريطانيا في مصر ، وسب للمصريين الذين يجحدون ذلك، وكأن الاحتلال الانجليزي كان كله خيرا وبركة على مصر، وكأن الإنجليز دعاة خير، والمصريون قوم لا يدركون مزايا الاحتلال، ونعمه عليهم.

لا يمكن عقلاً ومنطقاً أن يطلب من شعب محتل مغلوب على أمره أن يمجد محتليه، وأن يتهم في فهمه وإدراكه؛ لأنه لا يعرف مزايا الاحتلال. ونسي هؤلاء الكتاب أو تناسوا أن الحرية كنز لا يقدر بثمن، وهي أثمن من كل شيء. وبرغم أنهم يدركون ذلك تمام الإدراك إلا أن الأطماع الاستعمارية في ثروات بلادنا تبرر له عمل كل شيء باسم الإنسانية والحضارة، والتقدم البشري، وهذه المعاني السامية كلها بريئة مما يقترفون.

ورغم أن فرنسا قد عانت الشيء الكثير من الإذلال، ومن وحشية الاحتلال الألماني لها طوال سنوات الحرب العالمية الثانية، ورغم أن كتابها سجلوا هذه التجربة بكل مرارة، فإنها لم تفد فرنسا في شيء، فبعد اندحار جحافل الألمان، وبعد تحرير أراضيها، أنكرت على الجزائر حقها في الحرية والاستقلال، وظلت تحاربها دون هوادة منذ قيام الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ إلى حصول الجزائر على الاستقلال، واستغرق ذلك سبع سنوات.

فالدول الأوربية إذا ما ابتليت باحتلال أراضيها، فذلك بلاء ما بعده بلاء، أما إذا ما احتلت أراضي الدول الضعيفة من قبل الدول القوية فهو خير

وبركة من وجهة نظر كتابها. ولهذا فمن الضرورة الماسة أن يكتب تاريخ تلك البلاد بيد أبنائها بموضوعية وأمانة ليخلصوه من الشوائب التي علقت به من كتابات كثيرين من الأجانب.

وتقضي الأمانة العلمية أن نذكر أن بعض هؤلاء الكتاب الأجانب كانوا فوق مستوى الشبهات، إذ كان هدفهم من الكتابة هو البحث العلمي الذي يتسم بالدقة والأمانة والموضوعية، وصولاً الى الحقيقة، أياً كانت تلك الحقيقة، وإن كان عدد هؤلاء قليل، إلا أن لكتاباتهم قيمة كبيرة.

ويمكننا القول أن الكتاب والمؤرخين الأجانب، إذا لم تكن لهم دوافع خاصة من وراء كتاباتهم؛ كخدمة الأطماع الاستعمارية لدولهم، أو لتشويه الحقائق التاريخية للدول العربية والإسلامية، أو لتعصب ديني، فإنهم يكتبون بموضوعية وبحيدة.

ومن الأهمية بمكان أن يعرف الباحث أن كتابات المؤرخين المحدثين بصفة عامة، تفضل كتابات المؤرخين السابقين عليهم من عدة وجوه، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: أن تلك الكتابات قد روعي فيها منهج البحث التاريخي، من تحقيق الأصول، ونقدها، وتحليلها، واستنباط الأحكام التاريخية منها، مما لم يفعله معظم المؤرخين السابقين.

ثانيـــاً: إن طريقة كتابة التارخ قد اختلفت اخلافاً كبيراً عما درج عليه معظم المؤرخين السابقين من كتابة التاريخ في شكل حوليات أو يوميـــات. بمعنى أن المؤرخ يكتب كل الأحـداث التي رآها أو

سمعها في يوم معين تحت هذا اليوم. فنجد كماً من المعلومات المتعلقة بالنواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، أو ما يختص بالظواهر الكونية، وليس بينها أي رابط سوى الرابط الزمني، أي أن جميعها حدثت في يوم معين. فمؤرخو ذلك الوقت لا يكتبون تاريخاً بالمعنى المتعارف عليه، وإنما هم في حقيقة الأمر - يقدمون مادة تاريخية يمكن الاستعانة بها في كتابة التاريخ.

ثالثـــاً : حتى الذين عالجوا أحداث عصر معين أو فترة زمنية محدودة، لم يلتزموا في كتاباتهم حدود الموضوع، أو الفترة الزمنية المعينة، فكانوا يخوضون في شتى الموضوعات، ويسبحون في مختلف الدروب، اتباعا لطريقة الشيء بالشيء يذكر، فالقارئ في هذه الحالة لا يستطيع تتبع موضوع الكتاب بشيء من التركيز، وذلك لكثرة الأحداث التي تعترضه والتي لا تمت الى موضوع الكتاب بصلة من قريب أو بعيد.

أما الكتابات الحديثة فتمتاز بالتزام الكاتب بموضوع بحثه، دون الخروج عنه، وإذا ما أراد ذلك فإن مكانه الهامش، وبذلك تتحقق للبحث العلمي وحدته وتماسكه.

٦- اللقاءات والمقابلات الشخصية (التاريخ الشفوي)

يعتبر التاريخ الشفوي من مصادر التاريخ الحديث، ويتم تدوينه من خلال اللقاءات والمقابلات الشخصية بين الباحث والشخصيات السياسية التي كان لها دور في مرحلة تاريخية معينة، وذلك لإجلاء بعض الأفكار التي تحتاج إلى توضيح وتفسير عن حالة سياسية معينة كان لها دور هام فيها والحقيقة أن اللقاء الشخصي يكشف الكثير من خبايا السياسة التي لم تشر إليها المصادر، أو ربما أشارت إليها ووجهت أصابع الاتهام إلى شخصية معينة. ومن هنا، كان اللقاء وسيلة هامة لإزالة الغموض واللبس عن كثير من الحقائق التاريخية التي يعتريها الشك.

وهكذا فإن التاريخ الشفوي يعد في حقيقة الأمر مهما للأسباب الآتية:

١- لا شك أن اللقاء الشخصي يوضح خبايا السياسة التي لم تتح لها فرصة الظهور لأسباب مختلفة، فربما يكون الشخص المسؤول في فترة الحدث لا يرغب في كشف بعض الخبايا أو إزالة الغموض واللبس.
٢- هناك حقيقة لا مراء فيها، وهي أن السياسيين وهم في دست السلطة لا يستطيعون التعبير عما في مكنونات صدورهم حفاظاً على سياسة الدولة، أما بعد خروجهم من السلطة فإنهم يكشفون أسراراً كثيرة ويبوحون بها في مقابلاتهم ومذكراتهم.
٣- إن اللقاءات الشخصية مهمة جداً للسياسي لأنها تمنحه فرصة الرد على منتقديه ومتهميه إبان توليه السلطة، ولذا فإنه يجد الفرصة مناسبة لدحض الاتهامات الموجهة إليه ونفيها أو الاعتراف ببعضها أو كلها.

ومن أهم وسائل التاريخ الشفوي:

١- أن يوجه الباحث أسئلة مكتوبة إلى الشخص الذي يرغب في مقابلته، ويقوم الرجل السياسي بالإجابة عن الأسئلة كتابة وشفاهة.

٢- قد يقوم الباحث بتسجيل اللقاء على أشرطة كاسيت وفي نهاية اللقاء يقوم الباحث بإعادة الشريط لسماعه حتى يحذف مايريد المسؤول حذفه أو الموافقة عليه بالإجماع.

٣- قد يجرى تسجيل اللقاء بالفيديو (بالصوت والصورة) ليكون اللقاء موثقاً بالصوت والصورة.

٧- كتب المراجع (الببليوغرافيا)

لاغنى لأي باحث في التاريخ بصفة عامة، والتاريخ الحديث بصفة خاصة أن يرجع إلى كتب المراجع لاستشارتها فيما يريده منها، وكتب المراجع لا تعالج تاريخاً، وإنما هي كتب تضم أسماء جميع المطبوعات التي صدرت في فترة زمنية محدودة، خاصة بتاريخ دولة معينة في التاريخ القديم أو التاريخ الوسيط، أو الإسلامي أو الحديث.

فإذا أراد باحث مثلاً أن يكتب عن تاريخ سوريا في العصر الحديث، فعليه أن يتعرف على الكتب التي تخدم موضوع بحثه للاطلاع عليها، وجمع المادة التاريخية اللازمة له. ففي هذا الموضوع عليه أن يرجع الى كتاب:

- Masson, p. : Bibliagraphie Francaise de le Syrie, Marsrilh. 1919.

وإذا رغب باحث أن يكتب عن موضوع في تاريخ مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فعليه أن يطلع على كتاب:

- Mounier, R. : Bibliographie Economigue, Jaridigue et Soirle de L'Egypt Moderne (1798 - 1912), Le Caire, 1918.

وهناك كتب أخرى للمراجع تتناول أسماء الكتب التي صدرت في تاريخ العالم كله، بمختلف عصوره ودوله، وتاريخ طبع الكتاب، ومكان طبعه، وعدد صفحاته، وبعضها يكتب وصفاً موجزاً لما يتضمنه الكتاب من موضوعات مثل:

- International Bibliography of Historical Sciences edited by the International Committee of Historical Sciences. Washington, 1926.
- Bibliagraphie Critique des Principoux Travoux parus Sur L'Histoire de 1600 a` 1914 en 1932 et 1933. Paris, 1935.

هذا فضلا عن كتب المراجع المتعلقة بشخصية معينة من الشخصيات الهامة في التاريخ، والتي كتبت عنها العشرات، بل المئات من الكتب في بعض الأحيان.

ويتصل بكتب المراجع الفهارس المطبوعة التي تصدرها المكتبات الكبرى متضمنة ما تحويه من كتب في مختلف فروع المعارف والعلوم والفنون، سواء كانت مكتبات الجامعات أو المكتبات العامة، وتحرص هذه المكتبات على إصدار ملاحق سنوية أو كل بضع سنوات بما ضم إلى المكتبة

من مطبوعات جديدة لم تتضمنها كتب المراجع السابقة، وهذه الفهارس مهمة جداً لكل باحث، إذ تزوده بثبت كامل بالكتب اللازمة له.

ومن أكبر الفهارس المطبوعة في العالم، فهرس مكتبة الكونجرس الأمريكي. ومن الفهارس الكبيرة في بلادنا العربية، فهرس الكتب المصرية، وفهرس مكتبة جامعة القاهرة.

ومن الأشياء الهامة للباحث، المقالات والأبحاث التي تنشر في العشرات، بل المئات والآلاف، بالمجلات العلمية التي تصدر في مختلف أنحاء العالم، وأخص بالذكر المجلات العلمية المتخصصة. وعلى الباحث أن يطلع على فهارس تلك المجلات للوقوف على ما يهمه منها. ومعظم المجلات العلمية تصدر لها فهارس سنوية بموضوعات المجلة.

وهناك اتجاه يرمى إلى إصدار كتب على غرار كتب المراجع تشتمل على الابحاث التي نشرت في تلك المجلات العلمية بعد تصنيفها، وتقسيمها إلى موضوعات تسهل للباحث مهمة العثور عليها وقراءتها، وهذا عمل ضخم يحتاج إلى جهود كبيرة وسنوات طويلة، ولكنها إذا لم تنفذ الفكرة الآن، فلا شك أنها ستنفذ يوماً ما، لأنها مسألة جوهرية وضرورية لتقدم البحث العلمي.

وهناك في دارة الملك عبد العزيز قامت مكتبتها مشكورة بعمل فهرس بعناوين المقالات التي نشرت في الدوريات التي كتبت عن تاريخ المملكة العربية السعودية بصفة خاصة، وتاريخ شبه الجزيرة العربية بصفة عامة.

٨- دوائر المعارف والمعاجم

دوائر المعارف والمعاجم على درجة كبيرة من الأهمية لأي باحث - لا في التاريخ فحسب - وإنما في كل أنواع المعارف، والعلوم، والفنون. وهي المفتاح الذي يفتح له آفاق البحث، ويمنحه الفكرة العامة حول موضوع بحثه. بالإضافة إلى ما تزوده به من مصادر يرجع إليها إذا ما أراد مزيداً من التعمق والبحث.

قام بوضع دوائر المعارف - أو أغلبها بمعنى أدق - نخبة ممتازة من العلماء والمستشرقين المتخصصين، إذ يتولى كل واحد منهم الكتابة في موضوع تخصصه، بصورة موجزة، كلها مركزة وعميقة، تشمل كل جوانب الموضوع، وتعطي الخطوط العريضة له.

مثال ذلك دائرة المعارف الإسلامية Encyclopaedia of Islam . إذ قام بتدوينها نخبة منتقاه من المستشرقين الأجانب، بذلوا في سبيل إنجازها جهوداً ضخمة، تستحق كل تقدير، وإن كنا كمسلمين نتمنى أن يقوم بهذا العمل الكبير علماء المسلمين أنفسهم، وألا يتركوا هذا الفخر لغيرهم. لاسيما وأنه يتناول تاريخهم وتراثهم. ولا يجب أن يترك هذا كله لأهواء المستشرقين يوجهونه كيف شاؤوا.

وتتناول دائرة المعارف الإسلامية التي كتبت باللغات الثلاثة: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، كل الشخصيات الإسلامية من مفكرين، وعلماء، وقواد، وخلفاء، وحكام، وسلاطين، وولاة وغيرهم. هذا فضلاً عن المعارك التاريخية، والبلدان الإسلامية، والمواقع الهامة وغيرها.

وجميع هذه الأسماء ترد في دائرة المعارف الإسلامية مرتبة حسب الحرورف الأبجدية الإنجليزية. مع مراعاة وضع اللقب أو الشهرة في أول الاسم، ويتبعه بعد ذلك الأسماء الصغرى. مثال ذلك: إذا أردنا أن نبحث عما كتب في دائرة المعارف عن الغزالي، فإننا نلجأ لحرف الغين، لأن الاسم يرتب على النحو التالي:

الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد.

مثال آخر نجده في صاحب كتاب " بدائع الزهور في وقائع الدهور" ، وهو محمد بن أحمد بن إياس. فلا نبحث عنه في حرف الميم، وانما في حرف الألف، وسنجد اسمه مكتوباً هكذا: ابن إياس، محمد بن أحمد. وهكذا في سائر الأسماء فإن اسم الشهرة أو الكنية تسبق الاسم الأول.

وبعد الاسم نجد تاريخين موضوعين بين قوسين، الأول يمثل تاريخ الميلاد، والآخر تاريخ الوفاة. وبعد ذلك يتدرج الكاتب في ذكر نشأة هذه الشخصية، والعلوم التي درسها، وعلى يد مَنْ من العلماء، وفي أي المساجد أودور العلم، ومن هم مناظروه وتلاميذه، وما هي مؤلفاته إن وجدت، والمناصب التي شغلها، ودوره الذي قام به إلى وفاته. وفي نهاية هذا المقال الذي يتفاوت حجماً تبعاً لأهمية هذه الشخصية وتبعاً لنشاطها، يورد المراجع التي استقى منها مادته العلمية في مختلف اللغات، وهذه المراجع مهمة جداً للباحث الذي يريد الاستزادة من المعلومات عن تلك الشخصية الإسلامية.

وإذا بحثت مثلاً عن معركة القادسية - ونجدها تحت حرف القاف - نجد أن الكاتب يأتي بنبذة تاريخية عن المكان، ويصفه، ثم يتطرق إلى المعركة، ويبين تاريخها، والمشتركين فيها، وقوة الجيشين المتحاربين، وسير المعركة ثم نتيجتها.

وتستخدم دائرة المعارف الإسلامية علامات خاصة تضعها أعلى أو أسفل الحروف اللاتينية، لتطويعها على أداء النطق العربي لها، وذلك حتى يستطيع القارئ أن يكتب الاسم العربي صحيحاً، وأن ينطقه صحيحاً أيضا.

مثال ذلك وضع هذه العلامة c فوق حرف a لتنطق ع (عين) وليست أ كما يؤديه هذا الحرف إذا لم توضع فوقه تلك العلامة.

وإذا وضعت هذه العلامة مقلوبة هكذا ɔ فوق الحرف a فينطق هذا الحرف أ (ألف). ، dh تنطق ذ، gh تنطق غ، وحرف Q ينطق ق. وحرف Z ينطق ظ. كذلك المد الألف يكتب هكذا ā ، والمد بالياء يكتب هكذا Ī ، والمد بالواو يكتب ū .

ونظرا لعدم وجود حرف في اللغة الإنجليزية ينطق صادا ص فقد وضعت نقطة تحت حرف ṣ لينطق صاداً. وتسمى هذه العملية باللغة الإنجليزية translitration أي كتابة لغة بحروف لغة أخرى.

ومن حسن الحظ أن فطنت الهيئات العلمية في مصر إلى أهمية ترجمة دائرة المعارف الإسلامية الى اللغة العربية، وبدأت بالفعل تقطع شوطاً كبيراً في هذا المضمار، فأخذت في إصدار أعداد شهرية في أول الأمر، ثم بعد ذلك أبطأ الإصدار، مبتدئة بحرف الألف (الهمزة)، ثم الباء والتاء، وهكذا

حسب ترتيب الحروف الأبجدية. وقد ظهر منها إلى الآن أعداد حتى حرف الصاد، وما زال العمل مستمراً ولكن ببطء شديد.

ويمكننا القول بأن فائدة دائرة المعارف الإسلامية المترجمة تفوق النسخة الأجنبية، وذلك لأن المترجم العربي يلتزم بترجمة النص الأجنبي بكل صدق ودقة وأمانة. ولكنه في الوقت نفسه يقوم بالرد أو التعليق على النصوص التي يراها قد جانبت الصواب. لاسيما إذا ما كان كاتب النص الأجنبي يتناول أموراً تتعلق بالعقيدة الإسلامية أو ببعض أحداث التاريخ الإسلامي. والتعليق أو التفسير أو المناقشة يكون مكانها في الهامش مع بقاء النص الأصلي دون مساس.

وفي هذه الشروح والتفسيرات والتعليقات فائدة كبرى للقارئ الذي تغيب عنه وجهة النظر الإسلامية في مثل تلك الأمور، والتي قد يهملها المستشرقون بحسن نية أو بسوء نية. لاسيما ونحن نعلم أنهم ليسوا جميعاً فوق مستوى الشبهات، بل منهم من يدس السم في العسل كما يقولون.

فالترجمة العربية إذاً تنقي كتابات المستشرقين من الشوائب، ومن الأفكار الخبيثة.

وخلاصة القول فإن دائرة المعارف الإسلامية تمد الباحث بموجز علمي مركز وعميق لما ينشده. ولكن ما هو أهم من ذلك قائمة المراجع التي يوردها الكاتب في نهاية المقال والتي لا غنى عنها للاستزادة من المادة العلمية.

وهناك أيضاً دائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britannica وهي دائرة معارف عامة، تترجم لكل الشخصيات العالمية غير الإسلامية،

والبلدان، والمواقع، والمعارك الحربية، ومختلف المصطلحات العلمية والفنية وغيرها. وهي مكتوبة باللغة الإنجليزية، ولم تترجم إلى اللغة العربية.

والمواد فيها مرتبة حسب الحروف الأبجدية الإنجليزية، مع مراعاة وضع اسم الشهرة أو الأسرة أو الكنية أولاً، ثم بعد ذلك بقية الأسماء حسب الترتيب. فمثلا إذا أردنا أن نبحث عن اسم نابليون بونابرت Napolen Bonaparte فيجب أن نبحث عنه تحت اسم Bonaparte وليس تحت اسم Napolen.

ومن المهم أن نعرف أن اسم لويس Louis أو شارل Charl أو إدوارد Edward من الأسماء الكثيرة التكرار في دائرة المعارف والتي يحملها حكام، وملوك، وأباطرة، ومن ثم فكل اسم من هذا النوع يريد الباحث أن يستدل عليه، فلا بد من معرفة لقبه أو شهرته. فهناك لويس الرابع عشر، ولويس الخامس عشر، ولويس السادس عشر، ولويس الثامن عشر. كذلك نجد شارل الأول، وشارل الثاني والخامس... وإدوارد الأول والثاني والثالث الخ. فمن الواجب إذاً على الباحث أن يتحقق من الاسم الذي يريده حتى لا يقع في خطأ.

وتورد دائرة المعارف البريطانية في ختام كل مقال أسماء المراجع التي يمكن الرجوع اليها إذا ما أراد الباحث مزيدا من المعلومات حول هذا الموضوع.

وهناك دوائر معارف أخرى مثل: دائرة المعارف اليهودية Jew-

ish Encyelapedie وهي تعنى بصفة خاصة بكل ما يتعلق بالشخصيات اليهودية وبتاريخ اليهود وتراثهم. ودائرة معارف الأخلاق Encyclopedie of Ethics وغيرها.

ومما يتصل بدوائر المعارف، موسوعة تضم ترجمات لكل الكتاب والمؤرخين في العالم ويطلق عليها اسم Historians Hirtory of the World وتتناول ترجمة هؤلاء الأعلام مرتبين حسب حروف الأبجدية لألقابهم أو لشهرتهم.

ولدينا أيضاً دائرة معارف البستاني، ودائرة معارف القرن العشرين، وان كانتا لا تصلان في قيمتهما العلمية ما وصلت إليه دوائر المعارف العالمية التي أشرنا إليها آنفا، إلا أنها تمثل مجهودا في الضريبة لا بأس به.

أما بالنسبة للمعاجم، فهي مهمة للباحث لأنها توضح له تطور اللغة، وتطور مدلولاتها من عصر إلى عصر، مثل: القاموس المحيط، وأقرب الموارد، ومختار الصحاح وغيرها.

بقي علينا قبل أن ننتهي من هذه النقطة، أن نشير إلى مرجعين هامين في تاريخ العالم في العصر الحديث، أحدهما باللغة الإنجليزية وهو:

The Combridge Modern History

ويقع في عشرة مجلدات كبيرة، بالإضافة إلى الملاحق.

والموسوعة الأخرى باللغة الفرنسية، وعلى نمط الموسوعة الإنجليزية السابقة، وتسمى:

Lavisse et Rambaud: Histoire Generale

وهاتان الموسوعتان تتناولان تاريخ العالم في شكل موضوعات رئيسية.

٩- الدوريات

يقصد بالدوريات الجرائد والمجلات العلمية المتخصصة. الجرائد مصدر هام من مصادر التاريخ - لاسيما اذا كانت محايدة وتتصف بالموضوعية - فهي تتولى نشر الوقائع والأحداث، وتصريحات وخطب الحكام والمسؤولين، وكذلك القوانين والقرارات التي تصدرها الحكومات. وأيضاً الشكاوى التي ترفعها مختلف الطوائف إلى المسؤولين والتي تتعلق بسوء الأحوال الاقتصادية، أو غلاء المعيشة أو عدم السرعة في البت في الأمور الهامة، وغيرها. وكلها مادة خام يمكن للمؤرخ أن يستفيد منها.

وتنقسم الجرائد إلى جرائد مستقلة، أي محايدة لا تتبع حزباً معيناً أو هيئة خاصة، والقسم الثاني ويضم الجرائد الموالية للحكومة، والجرائد التي تمثل وجهة نظر الحكومة من الناحية الرسمية أو الفعلية. والقسم الثالث يمثل الجرائد المعارضة للحكم القائم أو التي تنتمي إلى أحزاب المعارضة، والقسم الرابع يمثل الجرائد التي تمولها جهات أجنبية لترويج مصالحها حتى ولو كان على حساب الدولة التي تصدر فيها.

ورغم اعترافنا بأن الجرائد مصدر هام للمعلومات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، إلا أن الباحث يجب أن يتحرز عند الأخذ أو النقل منها، فلا بد له من معرفة كنه الجريدة، وميولها السياسية، وموقفها

من الحكم القائم. فهل هي مستقلة أن موالية أم معارضة؟ وفي كل حالة من هذه الحالات سيختلف عرض الأحداث من جريدة إلى أخرى وبناء عليه فلا بد للباحث أن يحكم عقله وفكره فيما يقرأ، وفيما ينقل.

وكلما صدرت تلك الجرائد في عصر تسوده الحرية، كلما كانت معالجتها لمختلف الموضوعات أقرب إلى الحقيقة وواقع الأمر. أما الجرائد التي تصدر في ظل القهر والاستبداد، فلا يجد الباحث فيها ما يروي ظمأه. وقد تحدث وقائع ذات خطر لا تستطيع تلك الجرائد أن تشير إليها من قريب أو بعيد، وليس معنى سكوت الجرائد عن ذكرها أنها لم تحدث فعلاً.

وقد تأتي الجريدة بتفصيلات لبعض الأحداث، ولكنها من وضع السلطة الحاكمة، ولا تمت إلى الحقيقة بصلة. فنقلها إذا دون نقد وتمحيص، سيؤدي بالباحث إلى نتائج بعيدة كل البعد عن الحقيقة والصواب.

ومهما يكن من أمر، فإن الجرائد هي مرآة المجتمع في حريتها وفي قيودها، وهي تزود الباحث بالكثير من التفصيلات التي قد لا يجدها في الوثائق والأصول التاريخية. وهذه التفصيلات تعطي للكتابات التاريخية التلوين الذي يخفف من جفاف الوثائق.

وتصدر في البلدان العربية الكثير من الجرائد، نسوق بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر. ففي المملكة العربية السعودية نجد الجرائد التالية:

- أم القرى، وهي جريدة الدولة الرسمية، وكانت تصدر أسبوعياً منذ عام ١٩٢٤م
- صوت الحجاز، وقد صدرت عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م في الحجاز عندما

توحدت الدولة السعودية بضم الحجاز إلى نجد. وقد توقفت عن الصدورخلال فترة الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤١. ولكنها عادت إلى الظهور من جديد في عام ١٩٤٦م

- القبلة، وهي جريدة تجمع بين الدين، والسياسة، والاجتماع، وقد صدرت في مكة المكرمة مرتين في الأسبوع في عام ١٩١٦، أي في عهد الحكومة الهاشمية في الحجاز.

وقد ذكرت هذه الجرائد في مقدمة الجرائد السعودية نظراً لقدمها، ولاعتبارها من الوثائق الهامة المعبرة عن وجهة نظر حكومة الحجاز، ووجهة نظر الدولة السعودية في مستهل عهدها.

هذا فضلاً عن مجلة الحج ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧، ومجلة المنهل ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧، ومجلة اليمامة.

وفي مصر نجد أقدم جريدة صدت بها، ألا وهي الوقائع المصرية، وهي الجريدة الرسمية للدولة، ففيها تنشر كل القوانين والقرارات التي تسنها الحكومة منذ أيام محمد علي، أي أن عمرها يزيد عن قرن ونصف من الزمان، وما زالت تصدر إلى يومنا هذا.

وتأتي بعد ذلك جريدة الأهرام التي صدرت عام ١٨٧٥ وما زالت تصدر إلى اليوم، أي أن عمرها تجاوز المائة عام، وهي جريدة تتناول مختلف الشؤون السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، وتتصف بالاعتدال.

إلى جانب هذا توجد جريدة المقطم، وقد توقفت عن الصدور بعد قيام

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكانت تمثل وجهة النظر الإنجليزية في مصر، وتمول عن طريق سلطات الاحتلال البريطاني في مصر.

كذلك نجد جريدة اللواء، وهي جريدة وطنية تمثل رأي الحزب الوطني الذي أنشأه الزعيم مصطفى كامل، وكانت تصدر باللغتين الإنجليزية والفرنسية. وكان يشرف على إصدارها مصطفى كامل نفسه، ويتولى تحرير معظم موادها، ويقوم بترجمة النسخة الفرنسية. وقد توقفت عن الصدور منذ مدة طويلة.

وإلى جانب هذه الجرائد جرائد أخرى كثيرة مثل: جريدة البلاغ، وكوكب الشرق، والجهاد، والمساء، والشورى وغيرها. وقد توقفت جميعاً عن الصدور فيما عدا جريدة المساء.

وفي العراق نجد جريدة العالم العربي، وقد صدرت عام ١٩٢٠، وجريدة الأهالي وجريدة الزمان، وجريدة الإستقلال وغيرها.

ومن الجرائد الأجنبية التي لها أهمية كبيرة للباحث جريدة التايمز The Times الإنجليزية، وهي تنشر كل الأحداث العالمية بموضوعية وصدق إلى حد كبير. وكذلك الدلي اكسبرس Daily Expres، والديلي نيوز Daily News، والموزنج بوست Morning Post، والابزرفر The Obsr-ver، وجميعها صحف إنجليزية.

هذا فضلا عن العديد من الصحف الأمريكية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية وغيرها.

أما عن المجلات العلمية فهي تلعب دوراً كبيراً في إمداد الباحث بكل

جديد ومبتكر من البحوث والمقالات. وتصدرهذه المجلات عن كليات الجامعات المختلفة في العالم العربي والإسلامي، وسائر الجامعات الأجنبية. فلكل كلية أو معهد عال مجلة تصدر باسمه، وتضم العديد من البحوث العلمية التي تمثل اهتمامات الكلية أو المعهد.

هذا بالإضافة إلى أعداد ضخمة من المجلات التي تصدر عن مختلف الهيئات العلمية، المهتمة بالبحث.

فإذا تناولنا المجلات العلمية التي تصدر بالمملكة العربية السعودية على سبيل المثال لا الحصر، نجد مجلة كلية الآداب جامعة الرياض، وكذلك تصدر عن كل كلية من كليات هذه الجامعة.

وفي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية نجد مجلة " أضواء الشريعة " التي تصدر عن كلية الشريعة، وهي تزخر بمختلف ألوان الدراسات والبحوث الإسلامية، ومجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - قبل انفصال كلية الدراسات الاجتماعية عن كلية اللغة العربية عام ١٣٩٦هـ - وهي مجلة سنوية تتضمن الكثير من البحوث المبتكرة، والمقالات العلمية الهادفة.

وتصدر الآن مجلة كلية العلوم الاجتماعية منذ عام ١٣٩٦هـ حاوية الكثير من البحوث التي تخدم فروع التخصصات المتعددة بالكلية.

ويقوم معهد الإدرة العامة بالرياض بإصدار مجلتي " مكتبة الإدارة " و " الإدارة العامة "، وكذلك تصدر وزارة الزراعة والمياه بالرياض " نشرة الإرشاد الزراعي ".

هذا فضلاً عن المجلات التي تصدر عن هيئات ومنظمات خاصة، مثل: " قافلة الزيت "، وتصدر عن شركة أرامكوا بالظهران، و " النفط والتعاون العربي " وتصدر عن منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط بالكويت، و " نشرة منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول "، وتصدر عن المنظمة نفسها، و " التجارة - جدة " وتصدر عن الغرفة التجارية الصناعية بجدة، ومجلة " التجارة والصناعة "، وتصدر عن الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة.

ولدينا بالمملكة أيضاً مجلة " الدارة "، وهي مجلة ربع سنوية، وتصدر عن دارة الملك عبد العزيز، وتعنى عناية خاصة بنشر تراث وفكر المملكة والجزيرة العربية، والعالم العربي والإسلامي، مما له صلة بالجزيرة العربية.

وإذا انتقلنا الى الجامعات العربية الأخرى، نجد أن كل كلية من كليات جامعة مصر تصدر مجلة سنوية تضم بحوثاً في مختلف المجالات العلمية. فهناك مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ومجلة كلية الآداب جامعة أسيوط، وغيرها.

كذلك نجد العديد من المجلات التي يصدرها الأزهر الشريف وكلياته المختلفة. كما يصدر " معهد المخطوطات العربية " التابع لجامعة الدول العربية " مجلة معهد المخطوطات العربية "، و " نشرة أخبار التراث العربي " عن الجامعة العربية أيضاً.

وتصدر " الجمعية المصرية للدراسات التاريخية " مجلة سنوية تحمل

اسمها، وهي مجلة متخصصة في الدراسات التاريخية، وإلى جانبها " الجمعية الجغرافية المصرية " وتصدر " مجلة الجمعية الجغرافية المصرية "، وهي تشتمل على بحوث ودراسات في الجغرافيا والتاريخ.

وعن مؤسسة الأهرام بالقاهرة تصدر مجلة " السياسة الدولية "، وهي مجالة علمية ربع سنوية، وتهتم أساساً بالدراسات المعاصرة، ولاسيما في مجال العلاقات الدولية الحديثة. و" مجلة الشرق الأوسط "، وتصدر عن مركز بحوث الشرق الأوسط التابع لجامعة عين شمس بالقاهرة

وفي الدول العربية الأخرى نجد " مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية "، وتصدر عن جامعة الكويت، وظهر أول عدد لها في يناير ١٩٧٠، وهي مجلة فصلية علمية، تهتم بشؤون الخليج والجزيرة العربية من سياسة، واقتصادية، وثقافية، وعلمية. و" مجلة غرفة تجارة وصناعة الكويت "، وتصدر عن غرفة تجارة وصناعة الكويت. و" مجلة البيان " وتخرجها رابطة الأدباء بالكويت، و" مجلة الخليج العربي " تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة بالعراق، ومجلة " آداب الرافدين " وتصدرها كلية الآداب جامعة الموصل، ومجلة " الدوحة " وتصدر في قطر، ومجلة " الآثار " وتصدرها الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بصنعاء، ومجلة " المؤرخ العربي " ويصدرها اتحاد المؤرخين العرب ببغداد.

أما عن المجلات الأجنبية، ولاسيما تلك التي تصدر باللغة الإنجليزية، وتهتم بشؤون المنطقة العربية والإسلامية. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر. المجلات التالية:

- Arab - American Affairs Bulletin

وهذه المجلة تتناول الشؤون العربية الأمريكية بالبحث والدراسة، وتصدر عن دائرة الشؤون العربية في أمريكا.

- Businessmen Saudi Arabia

وهي نشرة تهتم بنشاط رجال الأعمال في المملكة العربية السعودية. وكذلك مجلة Business Work

- Department of Stste Bulletin

وتقوم بإصدارها وزارة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية.

- Fareign Affairs, New York.

وهي مجلة تصدر كل ثلاثة شهور، وتهتم بالشؤون العالمية، وتصدر في نيويورك.

- Foreign Affairs, London.

وهي تشبه المجلة السابقة في اهتماماتها، ولكنها تصدر في لندن.

- Journal of Royal Lnstitute of International, Affairs

وتصدر في لندن عن المعهد الدولي للشؤون الخارجية، وتهتم أيضا بالشئون الدولية.

- Nation

وهي مجلة أسبوعية تصدر في مدينة نيويورك.

- Petroleum Times Reriew of the Middle East oil

وهي مجلة تهتم بشؤون بترول الشرق الأوسط من النواحي السياسية والاقتصادية والفنية.

- Royal Central Asian Journal

وتهتم هذه المجلة بشؤون الدول الأسيوية سياسياً وتاريخياً واقتصادياً وثقافياً.

- Royal Islamic Society, The Central Asian Society

وهي على غرار المجلة السابقة، وإن كانت تركز على الشؤون الإسلامية لدول أواسط آسيا.

- The Middle Jast Zournal. Washington

وهذه المجلة تهتم بالدراسات المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط، وتصدر عن معهد دراسات الشرق الأوسط بواشنطن.

- The Moslem World, London

وهي مجلة تهتم بشؤون العالم الإسلامي، سياسياً، واجتماعياً، وثقافياً.

- United States and World Report

وهي مجلة أسبوعية تصدر بمدينة نيويورك، وتهتم بعلاقات الولايات المتحدة الأمريكية بدول العالم.

وخلاصة القول، فإن ما ذكرته بشأن مصادر التاريخ الحديث لا يمثل دراسة مستفيضة لتلك المصادر، وإنما يقدم للباحث الخطوط العريضة لهذا الموضوع التي تحتاج دراسته إلى وقت طويل، وإلى عدد أكبر من المحاضرات. ولن تكون هذه الدراسة نظرية فحسب، بل سيقوم الباحث بالتدريب على قراءة الوثائق والمخطوطات، واستخدام الأجهزة العلمية المعدة لذلك.

كما سيقوم بالبحث في المعاجم ودوائر المعارف، والدوريات المختلفة عما يكلف به، وأن يحاول الباحث جهده إتقان ما يسند إليه من دراسات وبحوث، عملاً بالحديث الشريف: « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »